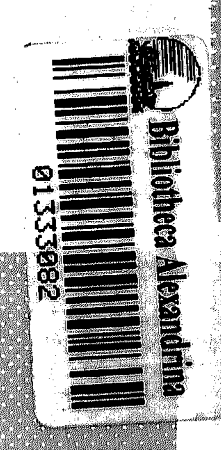
الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

٢

تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبنى مدرار والأدارسة
حتى قيام الفاطميين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد



الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه



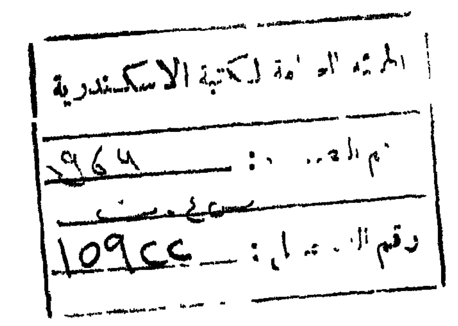
تاريخ المغرب العربي

الجزء الثانى

تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبنى مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد
أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الإسكندرية سابقاً
أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت





الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

"قرآن كريم / سورة يوسف"
آية ١١١

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا : « تاريخ المغرب العربي » من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهـــو يتناول الفترة الخاصـــة بدول الأغالبة ، والرستميين ، والمداريين ، والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، واعلان خلافة المهدي عبيد الله ٠

وهنا أود أن أضيف هامشا الى موضوع المصادر ٠ ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وفقت الدكتورة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام في مصادر تاريخ الأندلس ٠ فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لابن حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ٠

ولقد أطلعتنا على المخطوط الثمين وتزودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (العدوة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس ٠ وكنا قد اكتفينا بالاشارة الى بعضها مما يوجد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي بروفنسال في « تاريخ أسبانيا الاسلامية » ٠

ومع تهنئتي للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه الفائدة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب٠

وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ ـ ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتورة نبيلة حسن ، والدكتور محمدعبدالعال أحمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكري ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي ٠

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمـــة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية ـ انه نعم المولى ونعم النصير ٠

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا « تاريخ المغرب العربي » من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والرستميين ، والمدراريين ، والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، واعلان خلافة المهدي عبيد الله ٠

وهنا أود أن أضيف هامشا الى موضوع المصادر ٠ ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وفقت الدكتورة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام في مصادر تاريخ الأندلس ٠ فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لابن حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ٠

ولقد اطلعتنا على المخطوط الثمين وزودتنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (العدوة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس ٠ وكنا قد اكتفينا بالاشارة الى بعضها مما يوجد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي بروفنسال في « تاريخ اسبانيا الاسلامية » ٠

ومع تهنئتي للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه الفائدة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب٠

وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ ـ ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتورة نبيلة حسن ، والدكتور محمدعبدالعال أحمد ، الى الأستادين محمد عبد العزيز ويوسف شكري ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي ٠

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية ـ انه نعم المولى ونعم النصير ٠

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب

فى أواخر القرن الـ ٣ هـ/٩ م ص ٤٨٠

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية

واعادة الوحدة الى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت من الحسينيين ، ص ٥٢٩

الأشكال والخرائط

تاريخ المغرب العربي
من الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية

الجزء الثاني

١ ـ دولة الأغالبة في افريقية : من ابراهيم الأول الى زيادة الله الثالث (١٨٤ هـ/٨٠٠ م ـ ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م)

٢ ـ صقلية الأغلبية : من الفتح الى نهاية الأغالبة (٢١٢ هـ/٨٢٧ م ـ ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م)

٣ ـ امامة الرستميين في تاهرت وجبل نفوسة (١٦١/٧٧٧ م ـ ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م)

٤ ـ امامة بني واسول المدراريين الصفرية في سجلماسة (١٤٠ هـ/٧٥٧ م ـ ٢٩٧ هـ/٩٠٩ م)

٥ ـ مملكة الأدارسة في فاس والمغرب الأوسط (١٧٢ هـ/٧٨٩ م ـ ٣٠٥هـ/ ٩١٧ م)

٦ ـ خريطة المغرب السياسية الحضارية أواخر القرن الـ ٣ هـ/٩ م

٧ ـ قيام الدولة الفاطمية وتوحيد المغرب تحت راية المهدي : « خليفة الله ، أمير المؤمنين » (٢٨٠ هـ/٧٩٧ م ـ ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م)

الفصل الثالث

الدولة الرستمية

في تاهرت وجبل نفوسة

(١٦١هـ/٧٧٧م - ٢٩٦هـ/٩٠٨م)



قيام الرستميين في تاهرت :

رغم أن دولة الأغالبة كانت ممثلة الخلافة ، صاحبة الحق ألشرعي في حكم بلاد المغرب من أقصاها الى أقصاها ، الا أن استقلالها كان نتيجة طبيعية للأوضاع السياسية في المغرب في ذلك الحين • فالرستميون كانوا قد اقتطعوا المغرب الأوسط بينما كان الأدارسة في طريقهم الى تثبيت أقدامهم في المغرب الأقصى بمعنى أن الرشيد عمل على ايجاد نوع من توازن القوى عندما عهد بافريقية الى ابن الأغلب • ومؤسس أسرة الرستميين هو عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام الفارسي ، وكان بهرام جده من موالي عثمان بن عفان ، ولو أن الكتاب يجعلون له نسباً يرتفع به الى ملوك الفرس القدماء (١) أما عن كيفية هجرته الى افريقية فتقول الرواية أن أباه رستم قدم من العراق الى مكة وبصحبته زوجته وابنه عبد الرحمن ، لأداء فريضة الحج فمات ، فتزوجت امرأته برجل من أهل القيروان حملها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته الى بلده (٢) • وتربى عبد الرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن فقهائها ومال الى تعاليم الخوارج ، ووقع تحت تأثير سلامة بن سعيد الذي كان يدعو الى مذهب

---

(١) يقال ان جده هو بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي • انظر البكرى ، ص ٦٧ وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ورقة ٩ (ط الجزائر ، ص ١٩) عن نسب عبد الرحمن ، ص ٢٠ - أ (ط الجزائر ، ص ٤٣) عن نسب ميمون حفيد عبد الرحمن .

(٢) الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ورقة ٩ (ط الجزائر ص ١٩ - ٢٠) حيث تقول الرواية المنسوبة الطابع ان رستم والد عبد الرحمن عندما سار الى الحج كان يقصد الذهاب الى المغرب عن طريق مكة حيث انه كان خبيرا بعلم النجوم وانه كان يعرف ان ذريته ستلي بلاد المغرب ، وانظر الشماخي ، سير علماء جبل نفوسة ، ص ١٤٣ .

الأباضية (٣) . ولما بلغ مبلغ الشباب رحل الى البصرة حيث درس على أئمة المذهب هناك ، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى ، مع بعض اخوانه من المغاربة . وبذلك أصبح واحدا من خمسة هم « حملة العلم » ، كما ذكرنا من قبل (٤) .

وعندما عاد عبد الرحمن أدراجه الى المغرب جد فى تحقيق أمنية شيخه سلامة بن سعيد الذى كان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما أبالى أن تضرب عنقى »(٥) ، فاشترك فى ثورة طرابلس بقيادة أبى الخطاب ، وعندما استخلص هذا الأخير مدينة القيروان من صفرية ورفجومة عهد اليه بولايتها . وبقى عبد الرحمن بن رستم بالقيروان الى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج تلبية لنداء أبى الخطاب ، ولكنه عاد من قابس عندما رأى هزيمة الأباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ/٧٦١ م(٦) . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره أى فى سنة ١٤٤ هـ أو بعدها بقليل (٧) ، فالأقرب الى الصحة أن ابن رستم لم يفكر فى ربط مصيره وأتباعه بالمغرب الأوسط الا بعد أن فشلت محاولاته فى العودة من جديد الى أفريقية . ففى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨ م اشترك ابن رستم مع بقية الخوارج من أباضية وصفريه فى حصار عمر بن حفص فى طبنة ، وانتهى الأمر بالانهزام الى تاهرت (٨) . والظاهر أن المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل أرض تاهرت أى اقليمها . فابن عذارى يحدد اختطاط تاهرت الرستمية فى سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٧ - ٧٧٨م (٩) ، وهو

---

(٣) انظر الدرجينى (الطبقات ، المخطوط ، ورقة ٦ ، ط الجزائر ، ص ١١) الذى يسجل رواية الاباضية التى ترجع الى الامام افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم عن بدء انتشار مذهبى الاباضية والصفرية ، والتى تقول ان اول من دعا الى هذين المذهبين فى قيروان افريقية هنا . سلامة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس اللذان قدما من البصرة ، وان سلامة كان يدعو الى مذهب الاباضية بينما كان عكرمة يدعو الى مذهب الصفرية .

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤١ وهامش ٥ .

(٥) الشماخى ، ص ١٢٣ ، والدرجينى . طبقات الاباضية ، ورقة ٦ (ط الجزائر ، ص ١١ - ١٢) حيث النص « وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا آسف على الحياة بعده . وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣١٩ و هـ ٣٠ .

(٦) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(٧) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٣ والترجمة ، ج١ ص ٢٤٢ ، النويرى ، ص ٩٣ أ ، والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٣٧٥ .

(٨) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٩) البيان ، ط. كولان . ص ١٩٦ .

الأمر الذي تؤيده روايات الأباضية عن اقامة ابن رستم فيها بين سنة ١٦٠ هـ و سنة ١٦٢ (١٠) ، أي بعد اكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من القيروان وعشر سنوات من انهزامه في طبنة ، وذلك امر مقبول ·

وهذا لا يعني أن تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ ، فالمدينة قديمة ترجع الى العصر الروماني ثم البيزنطي (١١) ، ولقد جاء ذكرها أيام الفتوح الأولى سنة ٦٢هـ/٦٨١ - ٦٨٢ م في حملة عقبة بن نافع التي استشهد فيها(١٢)· فلكي يستقر ابن رستم وأتباعه الذين جاءوا من بلاد افريقية وطرابلس في المغرب الأوسط كان لابد لهم من تنظيم دعاية واسعة النطاق لنشر تعاليم المذهب الأباضي بين قبائل المنطقة ، ونداء هذه القبائل الى تأييد ابن رستم ، وهذا أمر طبيعي تطلب تنفيذه حوالي خمسة عشر عاما · ولقد ساعد على نجاح دعوة ابن رستم أن المنطقة التي نزلها تعتبر امتدادا لبلاد الزاب ، وأن كثيرا من قبائلها من لواته وهوارة وزواغة ومطماطة (١٣) أصلها من أقاليم المغـــرب الشرقية في طرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد - مهد الدعوة الأباضية · ولقد سهل هذا الأمر مسير كثير من أباضية تلك الأقاليم الى ابن رستم حيث أقاموا بين بني جلدتهم في المغرب الأوسط · (أنظر شكل ٥ ص ٢٩٢) ·

اما عن السبب في اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع أولا الى أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها · فرغم أن تاهرت على رأس الطريق الموصل من منطقة التلول الى أسافل وادى شلف المؤدى الى البحر ، ورغم أنها معلقة في أعلى المنطقة الجبلية (تلول منداس) على ارتفاع ١٫١٠٠ متر الا انها تقع على السفح الجنوبي للجبل - جبل كرول - (الذي يرتفع الى ١٫٢٠٠ متر) (١٤) بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل ، وتدير ظهرها للبحر · وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بهـــا الأعداء من كل جانب ، وترجو أن تعيش في أمان - في حاضرها على الأقل - بعد أن فشلت في الاحتفاظ بانتصاراتها في عواصم المغرب الشرقية ·

---

(١٠) أبو زكريا ، كتاب السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ - أ ، الدرجيني طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٩ - أ (ط· الجزائر ، ص ٤٠ - ٤١) ·

(١١) عن خرائب تاهرت الرومانية والبيزنطية انظر :
Gautier : Le passé de l'Afr du Nord, p. 322

(١٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٩٧ ·

(١٣) انظر البكري ، ص ٦٧ (يكتب لواته بالطاء : و لواطة) ·

(١٤) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر أيضا Gautier: op, cit., p. 328

بحر الروم
(البحر المتوسط)
بونة
قسنطينة
بجاية
الجزائر
مرسى الدجاج (؟)
تنس
نهر شلف
وهران
تلمسان
تاهرت
سطيف
طبنة
بسكرة
بادس
تبسا
المسيلة (؟)
بوسعادة
وادي مجردة
قفصة
شط الجريد (؟)
مسعد

ماطق جبلية
شطوط (سباخ)
وديان

شكل رقم (٥)
المغرب الأوسط

ورغم وعورة المنطقة وقسوة طقسها وخاصة في فصل الشتاء حيث تغزر الغيوم والأمطار ، وتسقط الثلوج وتشتد البرودة · ويعز الدفء ، مما كان موضوعا لنكت الظرفاء وشعر الشعراء(١٥) ، فان المنطقة عرفت بثروتها الزراعية وكثرة مراعيها الغنية على وجه الخصوص ، وهي مدينة بدلك لكثرة مياهها · « تاهرت » على نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب يسمى مينة (ميناس) ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس ، ومنه تشرب أرضها وبساتينها ، وبالقرب منها نهر سيرات ، وهو نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية »(١٦) · وينوه كل الجغرافيين بكثرة زروعها وبساتينها ، ولكنهم يؤكدون شهرتها كاقليم للمراعي والانتاج ا لحيواني · وفي ذلك يقول ابن حوقل عن تاهرت : « وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية »(١٧) · والحقيقة أن صفة الرعي هي الغالبة على بلاد المغرب الأوسط ، « فهي كثيرة الخصب والزرع ، كثيرة الغنم والماشية ، طيبة المراعي ، ومنها تجلب الأغنام الى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها »(١٨) وعلى أساس طبيعة المنطقة يفسر جوتييه (استنادا الى ابن خلدون) طبيعة الامارة الرستمية : فهي مملكة بترية أي بدوية (١٩) ، على عكس الممالك

---

(١٥) من ذلك ما يقال من أن أحد أهل تاهرت سئل كم عدد شهور الشتاء عندكم ؟ فاجاب ثلاثة عشر شهرا (ابن عداري ، ج ١ ص ١٩٨) · كما يقال ان بعض التاهرتيين ذهب الى مكة لقضاء فريضة الحج فلما رأى توقد الشمس بمكة نظر اليها وقال : « احرقي ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليلة » · وفي بردها قال أبو بكر بن حماد (توفي سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ — ٩٠٩ م) :

ما أصعب البرد وريعته	واطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدت	كأنها تنشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجة	تجري بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس اذا اشرقت	كفرحة الذمي بالسبت

(انظر البكرى ، ٦٧ ، كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٩ — ب (ط الجزائر ، ص ٤٢ — ٤٣) ، وعن ابن حماد انظر مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٣١) ·

(١٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٢ · ولقد كانت كثرة مياه تاهرت سببا في تغني الشعراء بها ، فقال بعضهم :

سقى الله تاهرت المنا وسويقة	بساحتها يغنا يطيب به المحل

(ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٨) ·

(١٧) ابن حوقل ، طبعة بيروت ، ص ٨٦ ·

(١٨) كتاب الاستبصار ، ص ١٧٩ ·

(١٩) Gautier, Le Passé de l'Afr du Nord ..., p. 326 - 330.

وانظر شكل ٦ ص ٢٩٤ ·

شكل رقم (٦)

اقليم تاهرت : طريق رحلتى الرعاة فى الشتاء والصيف   انظر جوتييه س ٣٣٣ ، ومبارك الميلى (الخريطة
الملحقة [illegible]

الحضرية في القيروان وفي فاس ٠

قيروان جديد في المغرب الأوسط : بناء تاهرت الرستمية او تاهرت الجديدة :

نجحت الدعاية التي قام بها عبد الرحمن بن رستم واتباعه فانضمت اليه قبائل المغرب الأوسط التي استجابت للدعوة الأباضية ، كما انضم اليه كثير من الخوارج الصفرية ، بل ومن جماعة تسمى بالواصلية الـذين يعتبرهم البكرى من الأباضية (٢٠) ــ رغم أن المعروف عن الواصلية أنهم من المعتزلة وهو الأمر الذى تقره الروايات الأباضية ٠ فابو زكريا يعرف الواصلية بأنهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناته (٢١) ، والدرجيني الذى يسميهم بالواصلية يعرفهم أيضا باسم المعتزلة(٢٢) ٠ والظاهر أن الفرقتين تحالفتا نتيجة لأخذهما بموقف الوسط بالنسبة لمرتكبى الكبائر (موقف المنزلة بين المنزلتين) ، وأنه لهذا السبب اعتبر معتزلة المغرب من الأباضية أو اعتبرت بعض جماعات الأباضية من المعتزلة ، واعترف الجميع بامامته (٢٣) ، وعلى راسهم أبو حاتم الذى خلف أبا الخطاب فى طرابلس ٠ فابو حاتم ــ فى نظر ائمة الأباضية ــ كان امام دفاع (٢٤) ولم يكن امام ظهور كأبى الخطاب ، وعلى ذلك كان « يرسل مازاد على ما يحتاج اليه مما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور وولاية الظهور »(٢٥) والحقيقة ان اجتماع هذه الفرق المتنافرة فى دعوة واحدة يمكن أن يفهم منه أن المسالة لم تكن مسالة اصلاح دينى يسعى اليه البعض أو الآخرون ، بل مسالة سياسية هدفها مدافعة حكم ممثلى الخلافة والاستقلال عن الدولة : بمعنى أن الدين لم يكن الا ستارا لاخفاء هـــذا

---

(٢٠) انظر البكرى ، ص ٧٢ ٠

(٢١) كتاب السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٩ ـ أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٦ ـ أ (ط٠ الجزائر ، ص ٥٧) ٠

(٢٢) طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ٢٦ ـ أ ، ط٠ الجزائر ، ص ٥٧ (الواصلية) ، ص ٢٧ ـ ب ، ط٠ الجزائر ، ص ٦٠ (المعتزلة) ٠

(٢٣) انظر البكرى (ص ٦٧) الذى يقول « كان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت ٠٠٠ وان عددهم نحو ٣٠ الفا فى بيوت كبيوت العرب يحملونها » ، بمعنى انهم بدو ظواعن ، وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ٠ وعن الاباضية وعلاقتهم بالفرق الأخرى انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٤ ، ٣١٨ ٠ وانظر مبارك بن محمد الميلى ، تاريخ الجزائر طبعة قسنطينة سنة ١٣٥٠ هـ ، ج ٢ ص ٧ ـ ٩ ، ١٢ ٠

(٢٤) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ورقة ١٧ (ط٠ الجزائر ، ص ٣٧) ٠

(٢٥) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٧ ـ أ (ط٠ الجزائر ، ص ٣٦ ـ ٣٧) ، وانظر الشماخى ، السير ، ص ١٣٨ ٠

الهدف أو لاعطاء موقف الانفصال نوعا من الشرعية ·

وبعد أن بويع عبد الرحمن بن رستم بالامامة في سنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ — ٧٧٧ م ، وهو التاريخ الذى رجحته كتب الأباضية ابتداء من أبى زكريا ومن نقل عنه (٢٦) ، كان من الطبيعي أن يتخذ مقرا له يكون مركزا للدولة الناشئة· ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التى بيناها . من « استراتيجية » المكان الجبلى ، وتوفر العصبية البترية ، وغنى الموقع بالماء والمراعى · هذا ولا بأس من أن يكون ابن رستم قد ارتاد المكان من قبل ، وأنه استحسنه بعد أن أقام فيه عقب فراره من القيروان ، كما يقول الكتاب ·

ويضفى كتاب أهل المذهب من الأباضية على فرار عبد الرحمن بن رستم الى جبل تاهرت ، وعلى بناء المدينة ، لونا قصصيا مثيرا كذلك الذى سبه من سبقهم من الكتاب الذين أرخوا لبناء الاسكندرية والفسطاط والقيروان وكذلك القاهرة الى هذه المدن عند بنائها · فابن رستم قبل أن يفر من القيروان وقـــع بين يدى عبد الرحمن بن حبيب (الفهرى) ولكن أحد القيروانيين شفع له فأطلقه ابن حبيب (٢٧) · وخرج الامام ومعه ابنه عبد الوهاب وغلام له ، وفى الطريق مات فرسه فى قسطيلية من بلاد الجريد فمشى على رجليه حتى ضعف عن المشى ، فكان ابنه وغلامه يحملانه (٢٨) · وبعد جهد جهيد وصل الى جبل سوفجيج(٢٩) حيث اعتصم قبل أن يلحق شيوخ أهل الدعوة من طرابلس ،

---

(٢٦) انظر السير لأبى زكريا ، المخطوط ، ص ١٣ — ا الذى يسجل هنا أن ابن رستم بويع سنة ١٦٠ هـ/٧٧٦ — ٧٧٧ م ، ثم يعود ليقول وقيل انه بويع فى سنة ١٦٢ هـ/ ٧٧٨ — ٧٧٩ م · وانظر الدرجينى ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٩ — أ والمطبوع ، ص ٤٠ — ٤١ ، الشماخى ، السير ص ١٣٩ · ولقد أخذنا بالرواية الأولى نظرا لأن اختطاط تاهرت تم فى سنة ١٦١ هـ ، كما يحدد ذلك ابن عذارى (انظر فيما سبق ، ص ٢٩١) ·

(٢٧) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٦ — ب (ط· الجزائر ، ص ٣٥) : الذى يقول ان ابن رستم كان يكره عبد الرحمن بن حبيب ، وانه وصـــفه ذات مرة « بأنه شيطان عليه بشر ابن آدم » فحقدها عليه ابن حبيب · وانظر الشماخى ، ص ١٣٢ ، وعن فرار ابن رستم من القيروان انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٢ وكذلك ص ٢٤٥ · وعن مشاركة الفهرى فى ثورة الخوارج انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥٢ — ٣٥٥ ·

(٢٨) الدرجينى ، الطبقات ، المخطوط ، ص ١٦ — ب ، ١٧ — أ وتقول الرواية أنهم دفنوا الفرس حتى لا يقتصوا أثره فسمى الموضع بقبر الفرس (وانظر ط· الجزائر ، ص ٣٥ — ٣٦)·

(٢٩) الشماخى ، ص ١٣٣ · ولا نعرف ان كان المقصود بهذا الجبل هو جبل تاهرت الذى يسميه صاحب كتاب الاستبصار (ص ١٨٧) « قرقل » ، وابن خلدون (ج ٦ ص ١٢١) « كزول » (جزول) أم غيره · وانظر الدرجينى ، الطبقات ، ص ١٧ — أ (ط· الجزائر ، ص ٣٦) ، الذى يسمى الجبل المنيع « وادى ابج » ·

الذين بلغوا ستين شيخا وأكثر ، مع أعوانهم من غير شك (٣٠) • وحسب هذه الرواية تبع ابن الأشعث الامام الى الجبل وضرب عليه الحصار كما احتاط للأمر فخندق حول عسكره خشية هجوم مفاجىء يقوم به ابن رستم ، وفى خلال ذلك « وحم الجبل بأهله ، ومات من أصحاب عبد الرحمن بشر كثير ••• فأيس منه ابن الأشعث وعاد الى القيروان » كما يقول الشماخى (٣١) ، ولو أنه من المقبول ايضا أن يكون الجدرى الذى أصاب الجبل قد وقع أيضا فى عسكر ابن الأشعث وألحق به خسائر كبيرة مما جعل ابن الأشعث يتشاور مع قواده ويقرر الرحيل ، كما يقول الدرجينى (٣٢) •

اما عن بناء المدينة فله قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة وبناء القيروان • فبعد أن اتفق رؤوساء العابدين وكبار الزاهدين وجماعة المؤمنين على بناء مدينة ، ارسلوا الرواد من أهل المعرفة فى اختيار الجهات ليختاروا المكان الذى يصلح لبناء مدينة تكون حرزا للمسلمين وحصنا لهم ، فطافوا أطراف البلاد واستحسنوا موضع تيهرت • وكانت تيهرت غياضا (٣٣) وأشجارا ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش • وهكذا ، وكما فعل عقبة بن نافع أمام شعراء القيروان ، فعل عباد الأباضية ، فارسلوا مناديا فنادى بأعلا صوته سباعها ووحوشها وهوامها أن اخرجوا وارتحلوا ، فانا مريدون عمارتها ونازلين بها ، وأجلوها ثلاثة أيام • ويذكر أبو زكريا الذى ينقله الدرجينى والشماخى « وذكروا أنهم رأوا بها وحوشا تحمل أولادها فى أفواهها يعنى سباعا — والله أعلم » (٣٤) • ثم انهم عمدوا الى تنظيف المكان مما كان فيه من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا فيها النيران ، وهو الأمر المقبول الذى رأينا أنه ربما كان سببا معقولا لهروب السباع والهوام ، مما اعتبره البعض كرامة لعقبة بن نافع بالنسبة لبناء القيروان ، وبذلك أصبح لتاهرت — فى نظر

---

(٣٠) الدرجينى ، الطبقات ، المخطوط ، ص ١٧ — أ (المطبوع ، ص ٣٦) •

(٣١) الشماخى ، ص ١٣٣ •

(٣٢) طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٧ — أ (المطبوع ، ص ٣٦) •

(٣٣) البكرى ، ص ٦٨ (غيضة أشبه) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٦ (غيضة) • وانظر الدرجينى ، الطبقات ، ص ١٩ — أ ، المطبوع ، ص ٤١ (رياض لا عمارة بها الا السباع والهوام) ، ص ٣٠ — أ ، المطبوع ، ص ٤٤ (غيضة أشبه) ، وانظر الشماخى ، السير ، ص ١٣٩ (غياطيل) •

(٣٤) انظر أبو زكريا ، كتاب السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ — ب ، الدرجينى الطبقات ، المخطوط ، ص ١٩ — أ (المطبوع ، ص ٤١) ، الشماخى ، السير ، ص ١٣٩ •

الاباضية كرامبا ، مثلها في ذلك مثل القيروان بالنسبة لأهل السنة(٣٥) .

هذا عن القصة أو الأسطورة الشعبية التى ظهرت في وقت متأخر والتى تحمل فى ثناياها بعض الحقائق من غير شك . أما أقـدم نص تاريخى عن بناء تاهرت فنجده في البكرى الذى يقول ـ نقلا عن محمد بن يوسف ـ انه بعد اتفاق الجماعة الاباضية على أمامة عبد الرحمن بن رستم وبنيان مدينة تجمعهم ، نزلوا موضع تاهرت وهو غيضة (٣٦) على خمسة أميال غــربى المدينة (٣٧) . واختار ابن رستم موضعا مربعا لاشعراء فيه ، ولهذا شبهه البربر بالدف لتربيعه وسموه تاقدمت (٣٨) . ورغم أن الموضع كان لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فان عبد الرحمن بن رستم فاوضهم فى بيعه ، ولما رفضوا اتفق معهم على أن يبيحوا للجماعة البناء على أن يكون لهم الحق فى جباية خارج الأسواق (٣٩) .

وكما هى العادة فى بناء المدن الاسلامية بدء بتخطيط المسجد الجامع ، وقطع الخشب اللازم للبناء من شجر الشعراء . أما عن تخطيط الجامع فيذكر البكرى أنه ظل على حاله الى أيامه أو الى أيام محمد بن يوسف الذى ينقل هو عنه (٤٠) مكونا من أربعة بلاطات (٤١) .

---

(٣٥) انظر ابو زكريا ، السير وأخبار الائمة ، المخطوط ، ص ١٢ ـ ب ، وقارن الدرجينى ، طبقات الاباضية ، المخطوط ، ص ١٩ ـ أ حيث تضيف الرواية الى ذلك أن أصول الأشجار القوية التى لم تأت عليها النيران عولجت بأن وضع الخث والعسل فى أصولها فأتت الخنازير ليلا وحفرت أصولها حتى قلعتها مما يعنى أن المنطقـة كانت معروفة بخنازيرها الوحشية وقارن المطبوع ، ص ٤١ (حيث كلمة حيس بدلا من خث) . أما عن قصة بنـاء القيروان المماثلة ، انظر فيما سبق ج ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٣٦) البكرى ، ص ٦٨ ، وانظر الدرجينى ، الطبقـات ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ أ (المطبوع ، ص ٤٣) حيث ينقل نص البكرى .

(٣٧) البكرى ، ص ٦٧ (تاهرت القديمة شرقى الحديثة على خمسة اميال منها) ، وانظر الدرجينى ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ أ (المطبوع ، ص ٤٣) .

(٣٨) البكرى ، ص ٦٨ ، قارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ أ ، حيث كلمة الدف بالبربرية = « بالطراست » . وقارن المطبوع ، ص ٤٤ ، والشماخى (ص ١٣٩) الذى ينقل هنا ما سبق أن قيل من أنهم أحرقوا الأشجار فى الموضع .

(٣٩) انظر البكرى ، ص ٦٨ الذى ينقله الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٤) ، والشماخى ص ١٤٥ .

(٤٠) البكرى يكتب حوالى سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م . أما عن محمد بن يوسف فهو متوفى سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٤ م . انظر مقدمة De Slane لكتاب البكرى ص ١٦ .

(٤١) البكرى ، ص ٦٨ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٤) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٦ .

ورغم ما يقوله البكرى من أنهم اختطوا وبنوا - حول المسجد كما جرت العادة - ورغم ما يقوله أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية مثـــل الدرجيني والشماخي من أنهم اختطوا دورا وقصورا وبيوتا ، فالمعروف أن تاهرت الجديدة - مثلها مثل قيروان عقبة - لم تكن تعنى فى أول أمرها أكثر من معسكر للجماعة الأباضية • ولقد ظلت صفة المعسكر هذه لاصقة بالمدينة مدة طويلة ، وذلك ما يسجله البكرى ، عندما يقول : « وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم »(٤٢) ، وهى التسمية التى ينقلها الدرجيني ثم يضيف بعدها ما ينقله من أبى زكريا من أن تاهرت سميت بـ « المعسكر المبارك » (٤٣) •

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية :

والظاهر أنه بعد أن تم بناء تاهرت الجديدة لتكون « حـــرزا وحصنا للاسلام » أخذت وفود القبائل تأتى من الأقاليم المجاورة لبيعة الامام • فهذا ما ينص عليه كتاب الأباضية الأوائل عندما يجعلون مبايعة ابن رستم بعد بناء تاهرت والرواية الأباضية تقول : انهم نظروا فيمن يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا فى كل قبيلة رأسا او راسين يمكن أن يكونوا من بين المرشحين ، وأخيرا اتفق رأيهم على عبد الرحمن للاسباب التى لخصها الشماخي فى قوله : لفضله ، وكونه من حملة العلم ، وكونه عامل أبى الخطاب على افريقية ، ولأنه لا قبيلة له تمنعه اذا تغير عن طريق العدل (٤٤) • والواضح

---

(٤٢) البكرى ، ص ٦٨ • أما ما يذكره البكرى عن اسوار المدينة وأبوابها التى يذكر منها باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن وقصبتها المسماة بالمعصومة ، فذلك عن وصف تاهرت بعد أن تمدنت وعظمت وامها الناس من كل مكان ، كما وصفها ابن الصغير (أخبار الأئمة ص ١١ ، ص ١٣) فى أواخر القرن الثالث الهجرى/٩ م ، وهو مصدر البكرى ومن نقل عنه مثل الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٩ - ب (المطبوع ، ص ٤٢) •

(٤٣) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ص ٢٠ - ب ، ٢١ - أ (المطبوع ، ص ٤٤) •

(٤٤) الشماخي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وانظر ابن الصغير ، ص ٩ ، الذى يجعل سبب طلبهم اختيار الامام خشيتهم من وجود كثير من رؤساء القبائل الذين يمكن أن يطمحوا فى الولاية فيؤدى ذلك الى الفتنة ، وانظر الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ص ١٩ - ب -

كان هذه الرواية لا يقصد بها تحديد وقت اختيار عبد الرحمن بن رستم للامامة بعد بناء المدينة الجديدة فذلك مالم يقل به أحد من قبل اذ كانت له الرئاسة في اباضية القيروان منذ أيام أبي الخطاب ، بل حتى قيل انه عرضت عليه الامامة قبيل تولية ابن الخطاب فاعرض عنها (٤٥) . ثم أصبحت امامته على الجميع بعد وفاة هذا الأخير ، وذلك مايقوله فقهاء الأباضية كما أشرنا (٤٦) . وبناء على ذلك نعتقد أن هذه الرواية تعني مبايعة رؤساء القبائل الى جانب أنها تبين ظروف انتخاب عبد الرحمن التي أراد فقهاء الاباضية أن يجعلوا منها مبادىء أساسية لانتخاب الامام . فلقد توفرت في الامام الأول شروط أربعة ذوات طبيعة مختلفة : أولها أخلاقي ، وثانيها علمي ، وكل من ثالثها ورابعها سياسي . أما عن البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة ، فكان العمل بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الراشدين ، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن أماناتهم (٤٧) ، واشترط عليهم هو الآخر « الطاعة في الحق »(٤٨) .

ولا بأس من أن يكون ذلك الترتيب الخاص باختيار الامام صحيحا . فالمبدآن الأولان من المبادىء المطلوب توفرها في اختيار الامام أو الخليفة كما اتفق على ذلك الفقهاء : « فالفضل »في هذا النص أو حميد الأوصاف عند الدرجيني أيضا هو ما يوازي « العدالة » التي تعني الكمال الاخلاقي ، من حيث سلامة الاعتقاد وسلامة الجوارح ونزاهة التصرفات الشخصية (٤٩) وأما كونه من حملة العلم ، فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الامامة أو الخلافة فحسب بل هو ضروري أيضا بالنسبة لطبقة أهل الاختيار ، أي أصحاب الحق في انتخاب الامام أو الخليفة . هذا ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل الى اختيار الأصلح ، أما بالنسبة للامام فهو

= (المطبوع ، ص ٤٣) الذي يضيف الى ما سبق : لدينه ، وعلمه ، وسابقته ، ومكانه ، وحميد أوصافه .

(٤٥) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ١٣ ـ ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ — ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٦) أنظر فيما سبق ، ص ٢٩٥ وهامش ٢٤ .

(٤٧) ابو زكريا ، كتاب السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ — ب ، وقارن الدرجيني ، طبقات الاباضية ، المخطوط ص ١٩ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٨) ابن الصغير أخبار الأئمة ، ص ٩ .

(٤٩) انظر الماوردي ، الأحكام السلطانية ، طبعة القاهرة ١٣٢٧ هـ/١٩٠٩ م ، فصل عقد الامامة ، ص ٤ ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٦ في اختلاف الأمة في حكم منصب الخلافة والامامة ، ص ١٩٣ .

العلم الذى يوصل الى مصلحة الجماعة فى الدنيا وسعادتها فى الآخرة (٥٠) . أما الشرط الثالث وهو « كونه عامل أبى الخطاب على افريقية » ، أو أنه كان قاضيا له وناظرا (٥١) ، فيمثل فكرة التعيين أو الوصية التى تحولت الى مبدأ الوراثة ، وهذا يعنى تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار . فعند أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على أنه حقيقة تاريخية : بعد أن عهد النبى لأبى بكر بامامة الصلاة ، وبعد ان أوصى أبو بكر بخلافة عمر ، وبعد أن حدد عمر أهل الخلافة فى ستة نفر ثم أتى معاوية وجعل العهد لابنه يزيد ، وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضا مبدأ الوراثة . حدث كل ذلك مع الاحتفاظ بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار المثل فى البيعة . ولقد انتهى الأمر باشتراط صفة القرشية فى المرشح للخلافة (٥٢) .

والمعروف أن الخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة ، وأنهم طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أى الانتخاب ، والا تقتصر طبقة المرشحين على طائفة من الطوائف ، بل يكون الترشيح مفتوحا أمام الجميع دون أية تفرقة عنصرية حتى أجازوا امامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية (٥٣) . وهذا يعنى أن الأصل السياسى عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التى تكون السلطة العليا فيها للشعب جميعا دون تمييز . أما المبدأ الرابع ، وهو « أنه لا قبيلة له تمنعه اذا تغير عن طريق العدل ، فهو شرط سياسى يتنافى مع نظرية العصبية التى تقوم عليها الدولة ، كما لاحظ ابن خلدون فى انهيار وقيام الدول الاسلامية (٥٤) . ومبدأ عدم استناد الامام الى قبيلة أو عصبية يهدف الى دفع ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد ، كما يطمح الى تحقيق الامامة ، أو الحكومة المثالية ، التى يكون العدل عصبيتها . وهذا الأمر يمثل مرحلة من مراحل تطور الأفكار الخارجية ، اذ سيقول بعض مفكرى الخوارج

---

(٥٠) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٥ (فى معنى الخلافة والامامة) .

(٥١) ابن الصغير ، ص ٩ .

(٥٢) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، الفصل ٢٦ (اختلاف الأمة فى حكم منصب الامامة والخلافة) .

(٥٣) انظر ابن خلدون ، فصل اختلاف الأمة فى حكم منصب الخلافة وشرطه ، ص ١٩٤ ، الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص ٨٧ .

(٥٤) ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ١٨ (فى ان الغاية التى تجرى اليها العصبية هى الملك) ص ١٣٩ .

انه اذا تحقق العدل بين أفراد الجماعة فلن تكون هناك حاجة الى الامامة أى الى الحكومة (٥٥) ٠

ومن الواضح أن اصحاب هذه الافكار كانوا نظريين أكثر مما يجب ، فعندما اقام الأباضية امامتهم في تاهرت لم يستطيعوا تطبيق نظريةً الانتخاب الجمهورية فى اختيار الامام ، فأصبحت امامتهم وراثية فى بنى رستم - مثلهم فى ذلك مثل العباسيين فى المشرق والأمويين فى الأندلس ٠ وهذا يعنى أنهم لم يتمكنوا من التخلص من تاثير مبدأ الوراثة الذى أصبح تاريخيا تقليديا عند أهل السنة أو أنهم لم يستطيعوا التخلص من افكارهم الأولى عندما كانوا شيعة يطالبون بأن تكون الامامة وراثية فى آل البيت ٠

حقيقة ان الجماعة الاباضية فى تاهرت بدأت فى الانقسام على نفسها منذ أن خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والده فى الامامة سنة١٦٨هـ (٧٨٤ - ٧٨٥ م) ، عندما انكر البعض ان يرث عبد الوهاب والده فى الرئاسة، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية ، بينما تمسكت الغالبية بصحة امامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (٥٦) ، وربما كان ذلك صحيحا ٠ ولكنا سنصبح امام أسرة من الأئمة الأفاضل تورث الحكم لأبنائها الأفاضل - دون غيرهم من الناس - وربما كان ذلك شبيها بما عرف عند الشيعة رغم أنه لا ينبنى على مبدأ الوصيه ٠

اعمال عبد الرحمن بن رستم :

والحقيقة ان عبد الرحمن بن رستم كان عند حسن ظن الجماعة فيه ، فقد أحسن السيرة وجلس في مسجده للأرملة والضعيف فلم ينقم عليه أحد في حكومة ، ولم يكن فى أيامه اختلاف (٥٧) ٠ وفى هذا المقام يؤكد كتاب

---

(٥٥) الشهرستاني ، الملل والنحل ، طبعة ليزج ص ٦٧ ، الماوردى ، الفصل الأول في عقد الامامة ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٣٦ (ويشير الماوردى وابن خلدون هنا الى اتفاق بعض فرق الخوارج فى هذا الرأى مع الأصم فقيه المعتزلة) ، وانظر احمد بن أبى ضياف ، اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان تونس ١٩٦٣ ، ج ١ ص ٦ ٠

(٥٦) عن صفات عبد الوهاب بن رستم انظر فيما بعد ص ٣١٥ ٠

(٥٧) ابن الصغير ، السير واخبار الائمة ، ص ١٠ ، وانظر ابو زكريا ، السير واخبار الائمة ، المخطوط ، ص ١٣ ب ، الدرجيني ، الطبقات المخطوط ص ١٩ - ب (المطبوع ص ٤٢) ٠

الأباضية فصل عبد الرحمن وعدالته التي كانت سببا في الاعتراف به ليس كامام لجماعة الاباضية في تاهرت والمغرب فقط بل وكذلك لاباضية المشرق ، وذلك في الوقت الذى كان أبو عبيدة حيا في البصرة ، وكان لعمان أمامها (واليها) الاباضى ، الذى يسمى عبد الوارث (٥٨) ٠

فعندما وصلت أخبار عدل ابن رستم الى مدينة البصرة ـ مركز المذهب في العراق ـ قال أهل الدعوة : « ظهر في المغرب أمام ملأه عدلا وسوف يملك المشرق (٥٩) » ٠ وجمعوا ثلاثة أحمال من المال سيروها الى المغرب مع بعض الرسل ، وطلبوا منهم أن ينظروا في أمره فان كان حاله على مابلغهم أعطوه المال (٦٠) ٠ وعندما وصل الرسل الى تاهرت ، نزلوا خارج المدينة ، في بعض المصليات هناك ، حيث تركوا أحمال المال ثم دخلوا المدينة من بابها المعروف بباب الصفا ، كما يقول ابن الصغير ، وهم يسألون عن دار الامارة (٦١) ٠

وعندما وصلوا الى الدار وجدوا صاحبها في أعلى بيت يعمل بيده السقف وعبد له يعجن الطين في أسفل الدار ويناوله اياه ٠ وعندما سألوا الغلام ان يستأذن لهم على سيده ، طلب عبد الرحمن الى غلامه أن يمهلهم بعض الوقت حتى ينزل ويغسل جسده من الطين (٦٢) ٠

وعندما دخل البصريون على الامام وجدوه جالسا على حصير فوقه جلد ، ولا شيء في بيته سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرسه المربوط خارج البيت (٦٣) ٠ وعندما أمر الغلام بأن يقدم لهم الطعام أتت المائدة وعليها قرص خبز وسمن وشيء من ملح ٠ فهشمت القرص ، ولثت

---

(٥٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ ـ أ ، وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ ب (حيث النص : وابو عبيدة حي وتوفى في امامة عبد الرحمن ٠ وقارن المطبوع ، ص ٤٥ ـ حيث النص : وأبو عبيدة حي اذ ذاك وفي امامة عبد الرحمن) ٠

(٥٩) ابن الصغير ، ص ١٠ ٠

(٦٠) ابن الصغير ، ص ١٠ ، أبو زكريا المخطوط ، ص ١٤ ـ أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٥) ٠

(٦١) ابن الصغير ، ص ١١ (يقول عن المصلى الذى كان به قبر مسالة « مصالة »)٠

(٦٢) ابن الصغير ، ص ١١ ، أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ ـ أ ، الدرجيني المخطوط ، ص ٢٠ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٥) ٠

(٦٣) ابن الصغير ، ص ١١ ٠

بالسمن وأكل الجميع (٦٤) ·

وهكذا لم يختلف الامام الشعبي في حقيقته عن تلك الصورة التي صورتها أخباره لهم في المشرق ، فاجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه ، « فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا منه : من اصلاحه لداره بنفسه ومطعمه وملبسه وحلية بيته فما نرى الا أن ندفع اليه المال ولا نشاور أحدا فيه (٦٥) ، ونادى عبد الرحمن الناس الى الصلاة الجامعة ، وشاور أصحاب الرأى وزعماء القبائل فيما يفعل بالمال فأشاروا عليه أن يفرقه في وجوهه المشروعة ، على أن يكون الثلث لشراء الكراع ، والثلث لشراء السلاح ، والثلث لباقي الفقراء وذوى الحاجات (٦٦) ، وتم ذلك بمحضر الرسل (٦٧) · ولقد ترتب على ذلك أن قويت جماعة الاباضية في تاهرت وانتعش فقراؤها وحسنت أحوالهم ·

وبذلك تحقق الأمن لتاهرت وأصبح يخافها من كان يحيط بها من القبائل · وعندئذ أخذ التاهرتيون يشرعون في العمارة والبناء ، وأحياء الأرض الموات وغرس البساتين ، بفضل أعمال الرى ، من : شق القنوات واجراء الانهار واتخاذ الارحاء عليها لطحن الغلال ·

وهكذا فعندما قرر أباضية المشرق أن يساندوا إمام أهل الدعوة الذى تحقق ظهوره في المغرب ، على أساس أنه الخليفة الحقيقي للائمة الأوائل ، مثل : أبي بلال مرداس وأبي حمزة الشارى ، كما تقول رواية ابن الصغير ، فبعثوا اليه من جديد بعشرة أحمال من المال ، رفض عبد الرحمن بن رستم قبول المـــال وطلب رده الى أهله ، رغم الحاح الرسل وتململ بعض وجـــوه أصحابه · ولقد فعل ذلك الامام عندما سأل عن أحوال اخوانه بالمشرق وعرف

---

(٦٤) ابن الصغير ، ص ١١ ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ — ب (المطبوع ، ص ٤٥) ·

(٦٥) ابن الصغير ، ص ١١ ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ — ب (المطبوع ، ص ٤٥) ·

(٦٦) ابن الصغير ، ص ١٢ ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ — ب (المطبوع ، ص ٤٥ — حيث النص « ولى الاسلام » بدلا من « وفى السلاح ») ·

(٦٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ — ب (المطبوع ، ص ٤٥) ·

أنهم « مستترون غير ظاهرين ، وأنهم مستضعفون غير قاهرين ، وأن جماعتهم مثل ما بجماعة الناس من الغناء والفقر» (٦٨) ·

وهذا النص الأخير يبين أن عبد الرحمن بن رستم لم يكن ليكتفي من الناحية النظرية على الأقل — بما تحقق من استقلال « أهل الدعوة » في تاهرت وأعمالها ، بل كان يرمي الى تحرير الجماعة الاباضية في المشرق من الحكم العباسي ، وهذا لا يمنع فكرة طموح الجماعة الاباضية في نشر دعوتها في كل دولة الخلافة · وذلك ما يشير اليه كتاب الاباضية عندما يقولون بأنه « فتعجب أهل المشرق من زهده في الدنيا ورأوا أن امامته فرض عليهم ،واعترف كل أباضي بامامته ، وواصلوه بكتبهم ووصاياهم(٦٩) ، طوال مدة امامته التي استمرت ثماني سنوات ١٦٠ — ١٦٨ هـ/ ٧٧٦ — ٧٨٤م (٧٠) ·

تنظيم دولة الامامة تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم :

وهكذا نجحت الجماعة الاباضية في المغرب الأوسط في اقامة دولة مستقلة لها ، وأصبحت تاهرت العاصمة لها حكومتها المستقلة عن دول المغرب المعاصرة ، وعن دولة الخلافة في المشرق · فلقد حمل عبدالرحمن بن رستم لقب الامام أي رئيس الجماعة جريا على تقاليد الخوارج ، وهو اللقب الخلافي ذو الصبغة الدينية بصفة ان الامام هو الذي يؤم جماعة المؤمنين في الصلاة مما ترتب عليه أن ابن رستم حمل أيضا لقب أمير المؤمنين ، كما نرى ذلك عند كتاب الاباضية (٧١) · ورغم أن لقب أمير المؤمنين كان اللقب الخلافي المميز —

---

(٦٨) ابن الصغير ، ص ١٣ — ١٤ · وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ — ب ، ٢١ — أ (المطبوع ، ص ٤٥) ، الشماخي ، ص ١٤٠ (لأن أهل بلاده يتمتعون بالعدل ، وأصحاب المسائل في حاجة الى أن يدفعوا به عن أنفسهم الظلم) ·

(٦٩) ابن الصغير ، ص ١٥ ، أبو زكريا ، المخطوط ص ١٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢١ — أ (المطبوع ، ص ٤٥) ·

(٧٠) المعروف أن عبد الرحمن بن رستم توفي سنة ١٦٨ هـ · وعلى أساس أنه بويع بالامامة سنة ١٦٠ هـ ، كما سبق ص ٢٩١ (انظر ، مسكراي ، مقدمة ابن الصغير (بالفرنسية) ص ٦) ، وهو التاريخ الذي رجحناه على سنة ١٦٢ هـ ، تكون امامته ثماني سنوات ·

(٧١) انظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٧ — ب : حيث يقول أن والي طرابلس عندما خرج الى جماعة أبي حاتم وطلب منهم الطاعة لأمير المؤمنين وانتقوه وهم يقصدون امامهم (والمطبوع ، ص ٣٧) ·

على اعتبار أن الامام هو أمير المؤمنين فان ابن رستم لم يحمل لقب الخليفة رغم اعتراف أهل الدعوة بامامته في المشرق ورغم طموحه في ان يظهروا هناك أيضا ، كما ظهروا في المغرب . واذا كان الرستميون قد حملوا لقب « الخليفة » ، فلا بأس أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استفحلت الدولة على عهد عبد الوهاب ابن عبد الرحمن (٧٢) .

ورغم أن عبد الرحمن بن رستم قام بمهمة الامامة حسبما قضت البيعة . من : سلوك سبيل العدل من جهته والتزام الجماعة بطاعته في الحق من جانبهم. ورغم الاجماع على أنه : لم يبدل في سيرته ولم يغير وأن الجماعة لم تعترض عليه في أمر ولم تخالفه في حكومة ، فلقد مارس ابن رستم سلطاته ممارسة ديموقراطية ، كما نقول الآن ، اى حسب أصول الشورى المتعارف عليها عند جماعة المسلمين الأوائل ، على عهد الرسول والراشدين وآثار الصالحين : حقيقة انه كان يمارس وظيفة امام الصلاة والقاضي بين الناس في مسجد تاهرت ، كما كان مستعدا لقيادة المجاهدين من أهل الدعوة في كل وقت اذ كان سيفه ورمحه في متناول يديه بينما كان فرسه مربوطة الى عضادة بابه، فان ذلك لا يعني أنه كان يحكم الجماعة حكما استبداديا ، وان كان صالحا . فقد كان يجتمع بالناس في مسجد المدينة عقب كل صلاة ، كما كان يشاور وجوه أهل الدعوة عقب انصراف عامة الناس في كل مناسبة . وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة باستقبال رسل أهل البصرة عندما ساروا اليه بأحمال المال ، في المرتين جميعا ، وان كانت نفس الروايات تشير الى أن اعيان الجماعة - من مستشارية - وان كانوا قد قدموا له المشورة في المرة الأولى ، فانهم تركوا له اتخاذ القرار النهائي في المرة الثانية عندما رفض أخذ اى شيء من المال ، وأمر برده الى أهله . وهكذا ظهر زهد الامام - الذى لم تتبدل أحواله رغم تغير أحوال أهل بلده الى ما هو أحسن - وعفافه ، وضرب لأهل بلده ولاخوانه من أهل البصرة المثل في المحافظة على سنن السلف الصالح ، وهي التى كانت تقضي بعدم خروج صدقة أهل بلد من البلدان الى أهل بلد غيره طالما كان فيهم المستحقون لها من الضعفاء والمساكين (٧٣) .

---

(٧٢) هذا ما قد يفهم من رواية ابن خلدون (ج ٦ ص ١٢١) الذى يقول عن عبد الوهاب « انه ولى بعد أن هلك والده عبد الرحمن وانه ولى ابنه ميمونا بعده وكان رأس الاباضية والصفرية والواصلية وانصرف الى نفوسة (مقوسة) والصفرية والواصلية ، وكان يسلم عليه بالخلافة » . وانظر فيما بعد ، ص ٣١٤ وهـ ٩٢ وهـ ٩٣ .

(٧٣) انظر الماوردى ، الأحكام ، الباب ١١ في ولاية الصدقات ط . مصر ١٩٠٩ م ص ١٠٢ - « ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد الى غيره الا عند عدم أهل السهمان فيه » .

وفي اطار هذا الحرص على تطبيق الكتاب والسنة وآثار الصالحين حاول فقهاء الاباضية فيما بعد الاجتهاد في تفسير كيفية قبول عبد الرحمن بن رستم لما قدمه أهل البصرة من المال في أول مرة ، ورفضه أخذ ماحملوه اليه منه في المرة الثانية . وفي اجتهادهم هذا قالوا انه ربما عرف الامام أنه كان في احمال المال الثانية أموال أتت عن غير طريق الصدقة ، مما يمكن أن يشكك في سلامة مصدرها ، بمعنى أن ذلك كان سبب رفضها (٧٤) . بينما الرواية صريحة فيما تنسبه الى الامام من أنه قبل الاموال في أول مرة لأن أهل تاهرت كانوا في حاجة اليها للدفاع عن انفسهم بينما كانت أحوالهم قد تحسنت واستغنوا عندما أتت دفعة الأموال الثانية ، فكان غيرهم من ضعفاء أخوانهم أولى بها منهم ، وهذا ما رفع من شأن الرجل وزاد في تعظيم معاصريه له .

دولة المشاركة والمساواة :

وعن طريق العدالة في توزيع الأموال والأرزاق حققت امامة تاهرت الرستمية على عهد عبد الرحمن ما كان يصبو اليه الكثيرون من المساواة في الحقوق والواجبات ، وخاصة ما يتعلق منها بالأموال وهي المشكلة التي فجرت الفتنة الكبرى بمقتل الخليفة عثمان بن عفان الذي يقف منه الخوارج وبضمنهم الأباضية موقفا عدائيا مرا (٧٥) .

التنظيم المالي :

وفي جمع الأموال وانفاقها يقول ابن الصغير عن عهد عبد الرحمن بن رستم : « والسيرة واحدة ، وقضاته مختارة ، وبيوت أمواله ممتلئة ، وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون فيقبضون أعشارهم في هلال كل (شهر) من أهل الشاة والبعير ... لا يظلمون ولا يظلمون .. فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعير . فاذا صارت أموالا دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم أمر باحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم أمر باحصاء ما في الأهراء من الطعام ثم أمر بجميع مابقي من مال الصدقة فاشترى منه اكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك . ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه . ثم ينظر الى

---

(٧٤) انظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢١ - أ ، المطبوع ، ص ٤٦ .
(٧٥) الوسياني المخطوط ، ص ٤٢ ب .

ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين ، وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم فى سنتهم ، ثم أن فضل صرفه فى مصالح المسلمين(٧٦) .

تنظيم دولة رعاة :

من هذا النص الفريد فى الموضوع ، والذى يعتبر أقدم النصوص التى وصلتنا عن الامامة الرستمية فى تاهرت ، يتضح لنا أن تنظيم امامة تاهرت كان تنظيم دولة بدوية تعيش على الرعى أولا وقبل كل شىء . فأهم مورد لخزانة مال الامام عبد الرحمن هو ضريبة الأعشار ، من الشاة والبعير التى كانت تجبى فى أول كل شهر قمرى . ولما كان من المفهوم أن ضريبة الأعشار التى تعنى العشر تمثل الزكاة أو الصدقة ، وهى الواجب المالى الوحيد الذى يقع على عاتق المسلمين ، فالمفروض أن الضريبة المقررة كانت ربع العشر - فى مجتمع تاهرت المتمسك بالسنن الأولى - لا تتجاوزه بأى حال من الأحوال ، وأن تسميتها بالعشر كان نوعا من التخفيف لكلمتى ربع العشر ، على ما نظن . وكلمتى « لا يظلمون ويظلمون » تعنى التمسك بشكل لا يقبل الجدل فى تحديد قدر الضريبة دون زيادة أو نقصان . والمفهوم أيضا من ثنايا النص أن الضريبة لم تكن تجبى على قطعان الماشية وحدها ، بل كانت تجبى على ناتج الأرض من الحب ، من : القمح والشعير ، الذى يعرف بالطعام ، والذى كان يصرف عينا بمجرد جمعه على الفقراء . وذلك أن ارزاق العمال (من جامعى الصدقات) كانت تصرف لهم نقدا بعد بيع غنم العشر وجماله . وكانت الأرزاق تصرف لهؤلاء العمال تبعا لنوع الوظيفة التى يقوم بها كل منهم .

معاونو الامام :

والمفهوم من ترتيب الموظفين الرئيسيين ، من عمال الامام وأعوانه ، أنهم يتوالون على الوجه الآتى : القضاة ويمثلون الطبقة الأولى ، ويتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون نواب القاضى ، من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأسواق وفى القبائل ، وبعدهم تأتى طبقة العمال من جباة الأموال المعروفين بالطائفين أو الطوافين . والتسمية مشتقة من طبيعة الوظيفة التى تتمثل فى الطواف على القبائل والبلدان وتجمعات أهل الدعوة لجباية الصدقة أو العشر .

---

(٧٦) ابن الصغير : أخبار الأئمة ص ١٥ - ١٦

أموال الصدقة :

وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الامام أن يحصوا ما تبقى في الاهراء من الطعام (الحبوب) وما تبقى من أموال الصدقة . وكانت هذه البواقي من نصيب أهل الدعوة في تاهرت وفيما حولها من الضواحي والظواهر ، وكان للفقراء والمساكين نصيبهم الوافي فيها مرة أخرى ، فكان على العمال أن يحصوا الجميع . وعندما يتم ذلك الاحصاء السكاني الدقيق كان الامام يأمر بشراء الملابس اللازمة لفصل الشتاء ، من : الأكسية الصوف والجباب الصوف وكذلك ملابس الفرو ، ويوزع كل ذلك على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأموال . والنص على أن عبد الرحمن بن رستم كان « يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه » يعني أن القاطنين في حيز تاهرت من غير أهل المذهب كان لهم نصيبهم في ذلك التوزيع الجماعي السنوي .

وهكذا كانت توزع أموال الزكاة أو الصدقة على المستحقين من الفقراء والمساكين ، وكان المشرفون على الجباية من الطائفين لهم أجرهم من نفس المال الذي جمعوه . أما كسوة الشتاء والزيت اللازم للطعام أو لانارة المشاعل والقناديل فكان يصرف لجميع أهل البلد من فائض الأموال في الأهراء وفي الخزائن .

رواتب الامام وأعوانه :

أما الامام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقطع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبهه . ويفهم من ذلك أنه كان من بين رعايا تاهرت أهل ذمة ، من : اليهود ، على وجه الخصوص ، والنصارى . ولا بأس من أن نضيف ، الى ما كان يجمع منهم ، المال الذي كان يجبى من غير أهل المذهب من السنة أو من الصفرية أو الشيعة. وهو الأمر الذي نكتفي بالاشارة اليه .

وبعد ذلك كان اذا فضل من المال فضل صرفه الامام في « مصالح المسلمين» في المرافق العامة : كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والحمامات ، وكذلك فيما تقوى به الجماعة من أمور الدفاع كشراء الكراع والسلاح والخيل ، أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها ، أو غير ذلك مما يصلح به شـــأن الجماعة .

ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : العاصمة الاباضية سوق عالمية :

وهكذا عاشت الجماعة الأباضية في تاهرت في ظل امامة عبد الرحمن ابن رستم في نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جميع أهل الدعوة . فالامام كان القدوة الطيبة لرعيته في الزهد والعفاف والتفاني في مصلحة الجماعة ، وعلى الجملة في حسن السيرة واقامة الحق والعدل . ولقد ظهرت العدالة في شكلها الملموس في أحكام الامام المنصفة بين المتخاصمين ، واكثر من ذلك في المسألة الشائكة الخاصة بتوزيع الأموال . ولكنه لما كانت امامة تاهرت دولة رعوية ، كما راينا ، فان ناتج دخلها الوطني ما كان يمكن أن يهيء حياة الرخاء التي يتحدث عنها ابن الصغير والتي لا تكتفي بالنص على انتعاش فقرائها بل ترسم لمدينة تاهرت صورة زاهية بفضل دورها وقصورها وبساتينها وطواحينها وكثرة خيراتها ـ وكل ذلك على عهد الامام عبد الرحمن الذى لم يتجاوز ثمانية أعوام ، كما قلنا .

والحقيقة أن ابن الصغير المالكي الذى عاش في تاهرت على أواخر أيام الرستميين والذى يقر بأنه لن يحرف ما سمعه من الاباضية ولن يزيد أو ينقص ـ يشرح أسباب انتعاش التاهرتيين وازدهار المدينة بفصل أنها أصبحت قبلة الرفاق من التجار الذين أتوا من كل الامصار . ففى خلال سنوات قليلة لم بعد ينزل تاهرت أحد من الغرباء الا استوطن معهم « وابتنى بين اظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة أمامه ، وعدله في رعيته ، وأمانه على نفسه وماله » . وبصرف النظر عما يقوله ابن الصغير من أن ما طرأ على المدينة قد حدث خلال السنوات القليلة التي ولى أمرها عبد الرحمن بن رستم ، فمن المقبول أنه مع مرور الوقت ، وعلى عهد خلفاء عبد الرحمن ، صارت تاهرت مدينة عالمية ، كما نقول الآن : « حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصرى ، وهذه لفلان القروى . وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين » (٧٧) ، مما يعنى أن رواد تاهرت الأوائل كانوا من أهل العراق الجنوبي حيث مركز الدعوة الأول ، ومن قيروان افريقية حيث نشأ اقطاب الدعوة الأوائل وجاهدوا في سبيل اقامة المذهب .

وتنص رواية ابن الصغير هذه على أن تاهرت دانت بتحضيرها هذا الى ازدهار تجاراتها بعد أن أصبحت سوقا دولية « فاستعملت السبل الى بلد

---

(٧٧) ابن الصغير ، ص ١٢ ـ ١٣ .

السودان ، والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ، فاقاموا على ذلك (سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر) والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون (٧٨) . ويفسر الشماخي ذلك فيقول ان التجار ساروا الى تاهرت بتجاراتهم وأموالهم من مصر وأفريقية والمغرب (٧٩) . ولا ندرى أن كان الاندلسيون الذين كان لهم نشاطهم في بدء الحركة الخارجية في المغرب قد ساهموا في ازدهار مدينة تاهرت في ذلك الوقت ؟ وذلك أن البكرى يذكر أنه كان من بين أبواب تاهرت الأربعة الأولى باب يسمى باب الأندلس (٨٠) مما يعني وجود طائفة من الأندلسيين في المدينة حتى نسب اليهم ذلك الباب؛ واذا صحت رواية ابن الصغير من أن باب الصفا الذي يذكره البكرى كان من أبواب المدينة على عهد عبد الرحمن بن رستم فلا باس من أن يكون باب الأندلس هو الآخر من أبواب المدينة الأولى ، وهذا يعني أن الأندلسيين ساهموا في بناء المدينة ، وفي اقامة مجتمع تاهرت الأول (٨١) . وهو الأمر الذي يؤكده عدد من كبار المشايخ من أصحاب عبد الرحمن من الاندلسيين . كما سنرى حالا .

والمهم من كل ذلك أن تاهرت بدأت ترقى وتزدهر منذ أيام عبدالرحمن، وان التجارة ـ وخاصة تجارة بلاد السودان حيث الذهب ـ كانت من الأسباب الرئيسية التي احتذبت الباحثين عن الربح من المشرق والمغرب والأندلس . ولا شك أن طبيعة التنظيم الأباضي الذي لا يقبل جباية الضرائب على المتاجر، على اعتبار أنها من المغارم ، كان من الأسباب الاضافية التي شجعت التجار على ارتياد تاهرت ، الى جانب ما ساد المدينة من الأمن واجتماع الكلمة وحسن سيرة الامام عبد الرحمن الذى توفى فى سنة ١٦٨ هـ/٧٨٤ م ، تاركا لكبار أصحابه اختيار خلف له على سنة السلف من الراشدين .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : (١٦٨ هـ ـ ١٩٨هـ/٧٨٤ ـ ٨١٤ م)

هكذا نجح عبد الرحمن بن رستم فى توطيد اركان الامامة الأباضية

---

(٧٨) ابن الصغير ، ص ١٢ ـ ١٣ .
(٧٩) السير ، ص ١٥٨ .
(٨٠) البكرى ، ص ٦٨ .
(٨١) ابن الصغير ، ص ١١ (عن باب الصفا) ، وانظر في بناء المدينة ، فيما سبق ، ص ٢٩٣ وص ١٨ .

في تاهرت ، بفضل عدالته وحسن سيرته الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ / ٨٤ — ٧٨٥ م ، وأصبح النموذج الصحيح للامام الاباضي ، ولم يكن من الغريب أن يستفيد ابنه عبد الوهاب من سمعته الطيبة ، وأن يفوز على منافسيه ويتولى الامامة • وابن الصغير الذي يمثل أقدم وثيقة وصلتنا عن أباضية تاهرت يقول فعلا أنه لما مات عبد الرحمن بن رستم قامت الأباضية وعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب (٨٢) ، و ن المتأخرين من الاباضية أرادوا للامام عبدالرحمن أن يسير على نهج عمر بن الخطاب • فعندما مرض عبد الرحمن مرضه الذي مات فيه ، جعل الأمر شورى في ستة نفر من كبار أصحابه وسابعهم ابنه عبد الوهاب (٨٣) ، وهم : مسعود الاندلسي ، أبو قدامه يزيد بن فندين اليفرني ، عمران بن مروان الأندلسي ، أبو الموفق سعدوس بن عطية ، شكر ابن صالح الكتامي ، مصعب بن سرمان ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم • كما انتهى أمر السبعة هنا بعد جدل ومناجاة طالت الى شهر عند أبي زكريا وزادت الى شهرين عند الدرجيني بعده ، وانتهت ازاء ضغط العامة ، الى المفاضلة بين اثنين هما : مسعود الأندلسي ، وعبد الوهاب بن رستم • وكادت كفة مسعود ترجح — كما تقول الرواية الاباضية — ولكنه عندما علم بميل الجماعة الى مبايعته اختفى زهدا في الولاية (٨٤) ، ولو أنه ظهر وكان أول المبايعين عندما تم الأمر لعبد الوهاب • والظاهر أنه الى جانب ما اتصف به عبد الوهاب من العلم والشجاعة والتقوى واللين (٨٥) ، كان للعصبية دورها في اختياره : اذ أن الزعيم اليفرني أبو قدامة يزيد بن فندين لما أيقن أنـــه لن يصل الى الامامة مال الى عبد الوهاب لصلة الرحم لأن أمه يفرنية من بني يفرن مثله ، وأنه رجا من وراء ذلك أن يؤثرهم في الأمر (٨٦) •

---

(٨٢) ابن الصغير ، ص ١٦

(٨٣) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ١٤ — ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢١ — أ (المطبوع ، ص ٤٦) ، وقارن الشماخي ، ص ١٤٥ • أما ما يورده البكرى ص ٦٧ ؛ ٦٨ ، وكذلك ابن عذارى ، (ج ١ ص ١٩٧) عن أسرة الرستميين فهو مقتضب ، كما أنه مختلط في بعض الأحيان • فبينما يجعل البكرى تاهرت لميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بمعنى تقديم عبد الوهاب على عبد الرحمن ، يجعل ابن عذارى الامامة بعد عبد الرحمن لابنه عبد الوارث وليس عبد الوهاب •

(٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — ب ، الدرجيني ، المخطـــوط ، ص ٢١ — أ (المطبوع ، ص ٤٦) ، الشماخي ، ص ١٤٤ •

(٨٥) الشماخي ، ص ١٤٤ •

(٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ — ب ، الدرجيني ، المخطـــوط ، ص ٢١ — ب (المطبوع ، ص ٤٧) ، الشماخي ص ١٤٥ •

ابن فندين ، زعيم بني يفرن ، يطالب بمجلس للشورى :

والمهم من كل ذلك أن عبد الوهاب استفاد من رصيد والده الضخم ، في : الزهد والعدالة وحسن السيرة ، ونجح في انتزاع امامة الاباضية من كبار منافسيه ، من رؤساء القبائل وشيوخ المذهب ، بعد جدل استمر حوالي الشهر أو أكثر • وكان من الطبيعي أن يطالب هؤلاء الشيوخ بأن يكون لهم رأي في ادارة شئون الدولة ، كما كان قد عودهم الامام عبد الرحمن ، بصفتهم أهل الشورى أو أهل الحل والعقد ، كما هو الحال عند السنة ، وأن يكون على رأس المطـــالبين بذلك يزيد بن فندين زعيم بني يفرن ، وهي القبيلة المغربية (البربرية) القوية التي صاهرها عبد الرحمن ، فكانوا سندا له ، وخاصة بعد أن صاروا أخوال عبد الوهاب ، والظاهر أن ابن فندين نادى باقامة مجلس استشاري من الزعماء يعاون الامام في الحكم وذلك أثناء مداولات مجمع المشايخ الذين تغافلوا عن مطلبه ، ولو أن مسعودا الأندلسي كان ضد تقييد الامام بشرط من الشروط (٨٧) •

امامة قوية على عهد عبد الوهاب :

وسارت الأمور على ما يرام على عهد الامام الرستمي الثاني عبدالوهاب، فقويت امامة تاهرت حتى قال ابن الصغير : انه « اجتمع له (عبد الوهاب) من أمر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع للأباضية قبله ، ودان له مالم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لاحد قبله »(٨٨) • ويضيف صاحب أخبار الأئمة الرستميين مما حكاه له مشايخ الاباضية : « أنه بلغت سمته (قوته) الى أن حاصر مدينةاطرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك ، وأمور الناس مجتمعة ••• الى

---

(٨٧) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ ـ ب ، ١٥ ـ أ : حيث يقول ان ابن فندين اشترط الا يقضي عبد الوهاب أمرا دون جماعة معلومة ، وان مسعودا الأندلسي رفض هذا الشرط • وقارن الدرجيني (المخطوط ، ص ٢١ ـ ب والمطبوع ، ص ٤٧) الذي يقول ان يزيد بن فندين رفض البيعة ما لم يستجب لشرطه وان الامام عبد الوهاب صرف من أمر مبايعته بسبب ما بينهما من النسب ، وان مسعودا الأندلسي قال : لا نعلم في الامامة شرطا غير العمل بالكتاب والسنة وآثار الصالحين ، وان جماعة المتخيين وافقوا وتركوا الشرط • وبذلك تمت البيعة وحمل عبد الوهاب الى دار الامارة •

(٨٨) أخبار الأئمة ص ١٦ •

أن حدثت الفرقة »(٨٩) ٠

وحصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم لمدينة طرابلس ، الذى انتهى بعد وفاة ابراهيم بن الأغلب سنة ١٩٦هـ/٨١٢ م بالاتفاق بين ولي العهد الاغلبي عبد الله بن ابراهيم الذى خلف والده وبين امام تاهرت على أن تظل المدينة وأقاليمها الساحلية تحت حكم الأغالبة ، وأن تصير الأقاليم الظاهرية الأخرى الى حكم عبد الوهاب معروف لنا (٩٠) - والقصد من الاشارة اليه عند كتاب الاباضية هو النص على أن المملكة الرستمية كانت تمتد غربا الى طرابلس ٠ وفي اطار هذا المعنى يريد ابن الصغير ، باشارته الى ملك المغرب بأسره الى تلمسان ، النص على أن امامة تاهرت نشرت سلطانها على كل المغرب الأوسط الذى تعتبر مدينة تلمسان حده الغربى حيث تبدأ وراءها حدود المغرب الأقصى ٠ ورغم أن اشارته « الى مدينة يقال لها تلمسان »تعنى انه لم تكن لديه فكرة واضحة عن عاصمة المغرب الأوسط الغربية التىستكون كما سنرى ، مجال صراع بين الرستميين وبين الأدارسة الذى سيستولون عليها (٩١) ، فالمهم أن انتشار سلطان عبد الوهاب من طرابلس الى تلمسان هو الذى دعا ابن خلدون الى القول أنه « كان يسلم عليه بالخلافة »(٩٢) ، الأمر الذى يسميه ابن الصغير : الانتقال من حال « الامامة الى حال الملك »(٩٣) ٠

وهكذا تستمر امامة عبد الوهاب من سنة ١٦٨ هـ حينما بويع والى سنة ١٩٧ هـ /٨١٣ م حينما انهى حصاره لطرابلس بمعاونة هوارة وزناته ونفوسة ، أي لمدة حوالى ثلاثين عاما ، لا تمدنا خلالها حوليات أفريقية والمغرب التاريخية بمعلومات عن النشاطات السياسية والعسكرية للدولة الرستمية ٠ أما كتاب الأباضية : من أبى زكريا ومن نقل عنه مثل الدرجينى والوسيانى وأخيرا الشماخى ـ ودون استثناء ابن الصغير المالكي رغم اشاراته التاريخية ـ فانهم لا يمدوننا بغير المعلومات دات الطبيعة المنقبية الا فيما يتعلق بالانقسامات

---

(٨٩) ابن الصغير ، ص ١٧ ، وقارن ابو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ ـ أ : الذى لا يشير الا الى مجتمع تاهرت ، فيقول « ولم تقم عليه اموره احد في حكومة ولا فى خصومة حتى نحم بن فندين وأصحابه » وهو النص الذى يحكى الدرجينى بمثله المخطوط ، ص ٢١ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٧) ٠

(٩٠) انظر فيما سبق ص ٤٠ ٠

(٩١) انظر فيما بعد ص ٤٤٤ ٠

(٩٢) أنظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ ٠

(٩٣) انظر فيما بعد ، ص ٣٢٦ وهـ ١٢١ ٠

المذهبية التي عرفتها جماعة أهل الدعوة • وفي هذه الدائرة الضيقة يكتفي ابن الصغير ، كما أشرنا ،بتلخيص الأعمال السياسية الخارجية لعبد الوهاب بحصار طرابلس وبسط سلطانه الى تلمسان ثم يشير الى افتراق الاباضية بعد ذلك ، أي بعد سنة ١٩٧ هـ /٨١٣ م • اما أبو زكريا فيلخص فترة الثلاثين سنة السابقة على الانقسام من عهد عبد الوهاب بقوله • « ولم ينقم عليه في أمره أحد في حكومة ولا خصومة حتى نجم ابن فندين وأصحابه »(٩٤) •

الفتنة بين اباضية المغرب :

الانشقاق الأول : النكار (أو النكارية) :

كان من الطبيعي وقد ثبت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم طوال هذه الفترة الطويلة وتأكد سلطانه شرقا في جبل نفوسة وأحواز طرابلس وغربا حتى أحواز تلمسان أن يزداد استئثاره بالأمور مع تضخم ملكه • وكان من الطبيعي أيضا الا يرضى المعارضون لمبدأ استبداد الامام بالسلطة ، وعلى رأسهم يزيد بن فندين ــ صاحب هذا الشرط ــ وأن ينازعوا عبدالوهاب في أن يكون له السلطان المطلق • ومن هنا ارتفعت أصواتهم تطالبه بألا يقطع أمرا دون مشورة • وكان رد عبد الوهاب ومسانديه منذ البداية ، مثل ابن مسعود الأندلسي ــ كما رأينا ــ : انه لا شرط للامامة الا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله • ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري ــ في الدولة التي اتسعت وازدادت رفاهيتها وانتشر العلم بين أبنائها ــ عند المطالبة بالمشاركة في ادارة شئون البلاد وعدم الاستبداد بالأمور ، بل انه اتسع عندما أثار المعارضون مسالة نظرية جديدة سبق لأهل المشرق، من المفكرين، الكلام فيها ، وهي : مسالة شرط العلم عند الامام ، وهل يجوز أن يبقى الامام في السلطة اذا ما ظهر بين افراد الجماعة من هو أعلم منه ؟ وعن هذا الطريق شككوا في صحة استمرار عبد الوهاب في الامامة (٩٥) • والحقيقة انه اذا كان الامام الأول عبد الرحمن بن رستم قد عرف بانه امام دفاع أي رجل حرب يجلس ، كما رأينا ، وسيفه ورمحه قرب يده وفرسه غير بعيد من بابه ، وأنه لم يكن له كتاب معروف من تاليفه ، كما يقول ابن الصغير ، فان عبدالوهاب كان له كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لأن نفوسة كتبت اليه مسائل

---

(٩٤) أنظر فيما سبق • ص ٣١٤ هـ ٨٦ •

(٩٥) الشماخي • ص ١٤٦ •

أشكلت عليها ، وهذا الكتاب اطلع عليه ابن الصغير بنفسه (٩٦) •

دور سدراتة ومزاتة في الخلاف :

هذا عن النظر الى مسألة المعارضة من الناحية النظرية الصرفة التي أعطاها اياها المتأخرون من الاباضية • أما عن واقع الحال ، كما يظهر عند ابن الصغير المالكي التاهرتي الذي حافظ على ماسمعه من أبناء بلدته من الاباضية ، فيدل على أن المسألة كانت سياسة وانه شارك فيها قبائل الاباضية المغربية (البربرية) من سائر بوادي المغرب الأوسط • فقد جرت العادة على أن ترحل قبائل مزاتة وسدراتة في فصل الربيع من بواديهم الجنوبية نحو تاهرت وأحوازها طلبا للنجعة لشياههم وبعيرهم ، وبينماكانت قطعان الماشية ترعى الكلأ في حراسة الرعاة من أبناء القبائل ومن العبيدكان رؤساؤهم ووجوههم يترددون على المدينة حيث يكرمهم مشايخها ويحسنون اليهم • ويشير ابن الصغير الى أنه في « سنة الفرقة » كان الربيع طيبا ، وأن المزاتيين والسدراتيين انتجعوا أكمل انتجاع انتجعوه قط (٩٧) ، مما يعني طول المدة التي قضوها حول تاهرت في ذلك الموسم • والظاهر أن طول مدة النجعة كانت كافية لتجاذب أطراف الحديث بين المعارضين من التاهرتيين : ممن يكتفي ابن الصغير بالاشارة اليهم دون تسميتهم بينما يجعلهم أبو زكريا ومن نقل عنه ، على وجه التحديد : يزيد بن فندين وأصحابه ، وهم الذين كانت قلوبهم قد تغيرت على الامام عبد الوهاب ، فعادوا يطالبون بشرط مشاركة الجماعة المعلومة في ادارة الأمور ، وأخذوا يشيعون أن الامام حابى عليهم بعض الناس فعهد اليهم بالولايات دونهم • وتضيف الرواية أن دعوة المعارضة التي قالت تارة : نحن وليناه ، وتارة : كيف يلينا وفينا أعلم منه ، وتارة : انما كانت ولايته على شرط ، لقيت آذانا صاغية من طوائف من الناس ممن تصفهم بالجهال والطغام حتى إنتشر الخلاف (٩٨) •

في هذا الجو المكفهر استمع الضيوف من المزاتيين والسدراتيين الى ما أسره اليهم مضيفوهم من المعارضين الذين قالوا لهم ، حسب رواية ابن الصغير : « ان الأمور قد تغيرت ، والأحوال قد تبدلت : قاضينا جائر ،

---

(٩٦) اخبار الأئمة الرستميين ، ص ١٧ •

(٩٧) اخبار الأئمة ، ص ١٧ •

(٩٨) أبو زكريا ، المخطوط ، حتى ١٥ — أ الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ — أ (المطبوع ، ص ٤٨) •

،صاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا . وقد جاء الله بكم ، فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن . قاصيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وأن يولى علينا خيارنا ، فأجابوهم»(٩٩) .

ورغم ما يقوله كتاب الاباضية من أن سياسة الامام عبد الوهاب فيما يتعلق باستخدام العمال والاعوان تتلخص في : رغبته في أهل الخير ، واستعمال أهل العلم والبصيرة والدين ، وخاصة ممن ليست لهم رغبة في الولاية(١٠٠) ، فان رواية ابن الصغير ، فيما يتعلق بالحوار الذى دار بين المزاتيين والسدراتيين وبين الامام عبد الوهاب بهذا الصدد ، مقبولة - حسب تقاليد أهل ذلك العصر - ان لم نقل معقولة . فوجوه زناتة عندما فاتحوا عبد الوهاب في أمر عماله الذين أثاروا المعارضين ، أجابهم قائلا : « جزاكم الله من وفد خيرا ، فقد تم من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم . الأمر اليكم . قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم » ، فدعوا له وأثنوا عليه .

وعندما انصرف المزاتيون أخبر الامام وجوه رجاله بما حدث من كلام المزاتيين وجوابه عليهم ، فلم يوافقوه على ما فعل : على أساس أن ذلك يسيء اليه ، كما يسيء الى اخوانه ورجاله . ولفتوا نظرة الى أن رضوخه لمطالب المزاتيين سيجرئهم عليه وعلى أولاده فيما بعد ، وأن الأمر قد يصل في سلسلة مطالبهم التي قد تتوالى الى حد مطالبتهم بخلعه ،عندما يقولون له : « ان المسلمين في ابتداء أمرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم أمرهم ، فان اجتمعوا عليك جملة ، فزت بخطك وكان ذلك زيادة لك في شرفك (١٠١) .

وانتهت المداولات بين الامام وبين مستشاريه الى تعديل وعده للمزاتيين بأن يطلب اليهم استشارة اخوانهم في المسألة ، كما سيستشير هو الآخر اخوانه ، وانه يجب أن يكون خلع من يخلعونه وتقديم من يقدمونه في حضور الجميع ، على أن يستدعى عبد الوهاب وجوه رجاله هؤلاء اذا ما وافق المزاتيون على ذلك .

---

(٩٩) ابن الصغير ص ١٨ .

(١٠٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب ، المطبوع ، ص ٤٨) ، الشماخي ص ١٤٨ .

(١٠١) ابن الصغير ص ١٨ - ١٩ .

وعندما حضر المزاتيون استدعى عبد الوهاب مستشاريه الدين شكروهم على حسن صنيعهم ، ولكنهم لفتوا نظرهم الى المبدأ القانونى الذى يقضى بانه : « لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة تظهر عليه ، ولا يجب عزل القضاة ببعى البغاة وسعى السعاة » • ورغم أن جماعة مشايخ البدو المزاتية أخذت بهذا المنطق الذى لم تعتد عليه ، فانهم قالوا : « ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالأمس ، ما هذا الا رأى حدث أو أمر أبرم »(١٠٢) • وكان من الطبيعى أن يعتبروا ذلك اخلالا بالوعد من جانب عبد الوهاب ، وأن يخرجوا من مجلسه غاضبين • وبذلك يكون الاختلاف قد زاد بين جماعة الاباضية ، اذ انضمت قبائل مزاتة وسدراتة الى جانب المعارضين من أصحاب ابن فندين •

تجمع المعارضين والمطالبة بمحاكمة عبد الوهاب :

وتجمع المعارضون لعبد الوهاب من أهل تاهرت وخاصة من اليفرنيين أنصار ابن فندين ، ومن القبائل الوافدة الى بوادى العاصمة الاباضية ، فى موضع جبلى فى ظاهر المدينة عرف عند الاباضية ب « كدية النكار »(١٠٣) ، نسبة الى النكار أو النكارية ، وهو الاسم الذى أعطى للمخالفين على عبد الوهاب لأنهم أنكروا امامه ، كما سماهم خصومهم أيضا بالنكاث لنكثهم بيعة الامام (١٠٤) • وتم نوع من الحلف بين النكار على انهم لا يدخلون الغرب (أى تاهرت) « أو يعزل ما سألوا عزله ، ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه »(١٠٥) • وكان من الطبيعى ، أن تبدأ المناوشات الحربية بين النكار وبين عبد الوهاب وأنصاره من أهل تاهرت ، طالما ان المفاوضات بين الجانبين انتهت الى عدم الاتفاق •

ورغم ما يقوله ابن الصغير من أن عبد الوهاب قضى على خصومه بسهولة بعد أن أعذرهم وأنذرهم(١٠٦) ، فان أبا زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية لا يريدون للامام أن يكون متسرعا فى قتال خصومه ، اخوة الأمس ، قبل أن

---

(١٠٢) ابن الصغير ، ص ١٩ •
(١٠٣) ابن الصغير ، ص ١٩ •
(١٠٤) الشماخى ، ص ١٤٨ ، ابن الصغير ، ص ٧٩ •
(١٠٥) ابن الصغير ، ص ١٩ — ٢٠ والقراءة فى النص الا يدخلوا الغرب بدلا من الغرب التى تعنى أن مساكنهم كانت فى شرقها •
(١٠٦) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٢٠ •

يستنفد كل الأساليب القانونية المتعارف عليها ، وليس الاعذار والانذار فقط .

فلقد عرض عبد الوهاب على خصومه أصحاب ابن فندين أن يضعوا اوزار الحرب حتى يستشيروا اخوانهم فى المشرق فيما أثير من مسألتى : شرط الحكم بمشورة جماعة معلومة ، وجوار امامة من يوجد أعلم منه . وفى هذه المرة لم يكن الاخوة الذين طلبت مشورتهم فى البصرة ، كما كان الحال قبل ذلك ، بل فى مصر وفى مكة : مما يعنى أن مركز الثقـل الخـارجى الاباضى ، من الناحية النظرية أو الايديولوجية ، كما يقال الآن ، كأن قد انتقل من العراق الى مصر والحجاز ، وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، اذ يعنى انحسار المدارس الفكرية الخارجية من مركز الخلافة ، جنوبا نحو الجزيرة العربية ، وغربا نحو مصر .

وتم الاتفاق على ارسال رسولين لقيا فى مصر : شعيب بن المعرف وشيعته ومنهم شخص يعرف بأبى المتوكل (١٠٧) ، وفى مكة التقيا بأبى عمر والربيع بن حبيب وأبى غسان مخلد بن المعرد الغسانى (١٠٨) . ولقد أجاب زعماء أهل الدعوة فى مكة ببطلان الشرط وجواز امامة العالم اذا وجد من هو أعلم منه ، وأن ا لامامة لا تبطل الا بحدث فى الاسلام بعد الاعذار والانذار من جانب الجماعة ، والاصرار والاستكبار من أمامهم (١٠٩) ، أما شعيب بن المعرف

---

(١٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ ـ ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٩ ـ حيث : شعيب بن المعروف بدلا من بن المعرف) .

(١٠٨) أبو زكريا ، ص ١٥ ـ ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٤٩) .

(١٠٩) انظر ابو زكريا ، السير واخبار الائمة ، المخطوط ، ص ١٥ ـ ب ، ص ١٦ ـ آ حيث يورد نص كتاب أهل المشرق على الوجه التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، يا اخواننا قد بلغنا ما كان قبلكم وفهمنا ما كتبتموا (كاتبتمونا) به من امر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط فى الامامة : أن لا يقضى أمرا دون جماعة معلومة ، فالامامة صحيحة والشرط باطل ، فلو صح بالامامة شرط لما قام شئ حق ولا اقيم له حد ، ولعطلت الحدود ولبطلت الاحكام وضاع الحق . والجماعة يتعذر اتفاقها على أن الامام ان قدم اليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه الحد فيقطع يده حتى تحضر الجماعة ، ولا يجاهد الامام عدوا ولا ينها عن فساد الا بحضرة الجماعة المعلومة فالامامة صحيحة والشرط باطل . وما ذكرتم من تولية رجل وفى جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز (جايز) اذا كان فى القناعة والفضل بمنزلة حسنة ، وقد ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزيد بن ثابت افرض منه ، وعلى بن أبى طالب اقضى منه ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنه ـ اعلم منه . وهذا ما ليس =

برأس الجماعة في مصر ، فانه قرر المسير الى تاهرت(١١٠) للنظر في المسألة على مسرح الأحداث ، كما يقال ، أو بنظر شاهد العيان ٠

والحقيقة انه لا بأس في أن يكون أهل الدعوة في مصر قد مالوا الى راى المعارضين للامام عبد الوهاب ٠ فهذا ما يمكن أن يفهم من رواية أبي زكريا التي تقول ان شعيبا عزم على للسير الى تاهرت« فخرج في نفر من أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الامارة ٠ وقد كان بها جماعة المسلمين : مشايخ ذوو فضل وعلم وورع ، وقد نهاه بعضهم عن الخروج الى تاهرت ، فقالوا له : تقدم الى بلد اختلف أهلها ولم يشتغل (بكلامهم) واستعجل هو وأصحابه طمعا في الامارة ، فمضوا مستعجلين حتى أنضوا رواحلهم فصاروا يسوقونها سوقا ، وحكي عنهم أنهم وصلوا من مصر الى تاهرت في عشرين يوما »(١١١) ٠ ورغم ما تقوله الرواية من أن شعيب دخل

= فيه خلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعرضكم زيد واقضاكم على واعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وقول صلى الله عليه وسلم : معاذ بن جبل سيد العلماء ، وانه سيحشر غدا يوم القيامة (القيمة) أمام العلماء بنبذه » ٠ ويضيف أبو زكريا بعد ذلك انهم ردوا الجواب باثبات ولاية عبد الوهاب وذكروا ان الامامة لا تبطل الا بحدث في الاسلام ٠

وقارن الدرجيني (المخطوط ، ص ٢٢ ب ، والمطبوع ، ص ٤٩ — ٥٠) الذى ينقل النص وفيه بعد البسملة والتصلية والتحية (فقد اتصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه ٠ فاما ما ذكرتموه من امر الشرط ٠٠٠ ان يجعلوا في الامامة شرطا أن لا يقطع الامام ٠٠٠ . الامامة صحيحة ٠٠ في الامامة الشرط ٠٠ ولبطلت الحدود والأحكام ٠٠ يعدو اتفاقهم ٠٠٠ فلا يمكنه ان يقيم عليه الحق فيقطع ٠٠ أو زنا أحد فلم يرجم أو يجلد حتى تحضر الجماعة ٠ و. يجاهد ٠٠٠ ولا ينهى عن منكر الا بمحضر الجماعة فيكونوا كلهم اذا اماما وكلهم للامام فهذ ابطال الامامة وتسمه غير الاستقامة ، ورمى الامامة به بغى والسؤال عن هذا غى ٠ وأما ما ذكرتم من تولية ٠٠٠ جائز اذا كان مستكملا لشروط الامامة ، وكان من اهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمرلة المرضية ، فقد ولى ابو بكر ٠٠٠ » وانظر الشماخى ، ص ١٤٨ ٠ وقارن الماوردى ، باب عقد الامامة ، ص ٥ (فلو تعين لأهل الاختيار واحد هو أفضل الجماعة فبايعوه على الامامة وحدث بعده من هو افضل منه انعقدت ببيعتهم امامة الأول ، ولم يجز العدول عنه الى من هو افضل منه) ٠ وبمثل هذا قال الزيدية من فرق الشيعة المعتزلة ، شريطة ان يكون الائمة من أولاد فاطمة بطبيعة الحال (أنظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١١٥) ٠ وقارن ابن خلكان (ط محيي الدين ، ج ٢ ص ٣٣٥) الذى يقول ان الامام زيد ابن على بن الحسين » كان يجوز امامة المفضول مع قيام الأفضل للمصلحة » ٠

(١١٠) ابو زكريا : المخطوط ، ص ١٥ ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ — ب (المطبوع ، ص ٥٠) ٠

(١١١) السير واخبا الائمة ، المخطوط ، ص ١٦ ب—أ (انضاء الابل يعنى أهزالها من كثرة السفر — أنظر لسان العرب ، الفصل نصا ، ج ٢٠ ص ٢٠٢ — ٢٠٤) ٠

على الامام عبد الوهاب وما كان يمكنه الا أن يفعل ذلك ، وأنه أفتاه بنفس فتوى اهل مكة التي وصلت فيما بعد بصحة امامته ، الا أن المهم هو أنه انقسم الى جانب يزيد بن فندين وأصحابه ، فكان يناجيهم ويؤازرهم .

تسميات جديدة للنكار :

وعن هذا الطريق اكتسب النكار تسميات جديدة عند خصومهم اتباع عبد الوهاب ، منها : النجوية ، والشعيبية الذين عرفوا بالشغبية والملحدة ، والنكاثة (١١٢) .

علاقة المعارضين باهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية :

ومع أن المعارضين لعبد الوهاب من النكارية كانوا يعيشون خارج تاهرت الا أنهم كانوا يدخلون المدينة جماعات حيث احتفظوا بمساكنهم القديمة ، مما أثار حشية اعوان الامام الذين طلبوا منه أن يمنعهم من ذلك . وتشير رواية أبي زكريا الى أن عبد الوهاب عندما كلمهم في الخروج نهائيا من المدينة لم يهتموا كثيرا بكلامه اذ قالوا له : « هذه مدينتنا وتلك منازلنا » . وسألوه عما اذا كانوا قد اقترفوا جرما يستحقون عليه الخروج . ومع ان الامام تركهم يدخلون المدينة ويخرجون منها . فالظاهر أن العلاقات ساءت بين النكارية وبين اتباع عبد الوهاب الذين صاروا يعرفون عند الكتاب باسم الوهبية نسبة اليه (١١٣) .

---

(١١٢) انظر أبو زكريا (المخطوط ، ١٦ - أ ، ١٦ - ب) حيث يشرح النجوية : لانهم صاروا يجتمعون ويتناجون . اما الشعيبية فهي في النص في شكل « الشغبية لادخالهم في الاسلام الشغب » . والظاهر أن هذا تحريف مقصود من جانب الوهبية لتجريح خصومهم بنسبهم الى الشغب ، بينما المفهوم من سياق الرواية ان المقصود هو شعيب المصري والنسبة اليه الشعيبية . وأما الملحدة : فلانهم « الحدوا في أسماء الله لقوله تعالى : الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » والمقصود بذلك هي مسالة نفي الصفات عند المعتزلة . أما النكاثة : « فلنكثم بيعة الامام بغير حدث » . وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب ، ٢٣ - أ (المطبوع ، ص ٥٠ - ٥١) .

هذا ولا باس من الاشارة الى أن الدرجيني يشير فيما بعد (المطبوع ، ص ١٦١) الى أن النكارية من خصوم الوهبية قبلوا صفة « النكار » على انها تشمل الخوارج جميعا لانها نسبة الى انكار حكم الحكمين بصفين ، فكان هذه التسمية تعادل اصطلاح « المحكمة » الذين قالوا : لا حكم الا لله .

(١١٣) انظر ابن الصغير (ص ١٦) الذي يصر على الفراق الاباضية على يد عبد الوهاب الى : نكار ، ووهبية ، ولكنه يشير الى أنه لا يعرف اسم الوهبية بينما يعرف اسم النكار ...

تأزم الموقف بين الفريقين :

وانتهى الأمر الى تأزم الموقف بين الجماعتين عندما اعتاد النكار على دخول تاهرت وهم يحملون السلاح ، فحمل أهل المدينة بدورهم السلاح بأمر عبد الوهاب خشية الغدر • ولقد تحقق غدر النكار فى مغامرة قصصية قاموا بها ، كما يقول أبو زكريا ، للتخلص من الامام •

مؤامرة قصصية لاغتيال الامام :

فقد تظاهر النكار بأنهم يتنازعون على صندوق (تابوت) وضعوا فيه رجلا معه سيفه وحملوه الى دار عبد الوهاب حيث وضعوه الى أن يحكم بينهم ، وكان هدفهم أن يخرج الرجل لاغتيال الامام ليلا • وفشلت المؤامرة بسبب سهر الامام من أجل الصلاة والقراءة والدرس من جهة ، ثم بسبب فطنته وحرصه • حيث وضع زقامنفوخا فى فراشه ، وجلس يترقب الخائن الى أن خرج من تابوته وضرب الزق ، فقده الامام بسيفه نصفين ، وأعاده قتيلا الى التابوت (١١٤) • وهكذا اتضحت نية الغدر لدى النكارية ، وأمر عبد الوهاب أن يكون أهل تاهرت على أهبة الاستعداد دائما بسلاحهم • وانتهز خصوم الامام ، من : ابن فندين وأصحابه ومنهم شعيب المصرى ، خروج الامام من تاهرت فى بعض حاجاته واستغفلوا أهل المدينة وحاولوا الدخول عليهم على حين غرة ، « فقامت الصيحة فى المدينة من كل مكان» (١١٥) •

احداهما هى اليزيدية اتباع عبد الله بن يزيد والأخرى هى العمرية اتباع عيسى بن عمر ثم أحمد بن الحسين ، وأن من يسمى بالوهبية يميلون الى هذين المذهبين ، مما يعنى تطورا أو تقسيمات جديدة بين اتباع عبد الوهاب الذين لم يعودوا يعرفون باسم الوهبية على أيام ابن الصغير ، على أواخر الرستميين ، حيث كانوا يسمون فى ذلك الوقت أيضا باسم العسكرية الذى كان يعرف به معظم قبائل نفوسة فى تاهرت • هذا ، كما ظن ابن حوقل أن تسمية الوهبية فى جبل نفوسة نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبى أول ائمة الحرورية فى العراق ، ويقول انه وصل مع عبد الله بن اباض الى الجبل وماتا فيه (ط• بيروت ، ص ٩٣)•

(١١٤) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ ــ أ ، ١٧ ــ ب (وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٢ ــ ٥٣) • حيث كان الترتيب أن يؤذن القاتل بعد أن يقتل الامام فيأتى أصحابه الى دار الامارة • فلما لم يسمعوا الأذان أتوا صباحا وحملوا تابوتهم ووجدوا صاحبهم فيه قتيلا ، فخرجوا من المدينة خوفا من صنيعهم من المسلمين ، وقارن الشماخى (ص ١٤٩) • حيث يقول ان أصحاب الامام هم الذين غرروا بالمتآمرين ووضعوا الزق المنفوخ •

(١١٥) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ١٧ ــ ب حيث تقول الرواية أن السبب فى تعجل ابن فندين وشعيب بالقيام بتلك المحاولة أنهم كانوا يخشون وصول فتوى أهل المشرق فى ذلك الخلاف خشية باداتتهما ، وهو ما سيحدث بعد قليل (وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٤) •

بلاء ولى العهد افلح ، ومقتل ابن فندين :

وترجع رواية أبى زكريا فضل انقاذ تاهرت مما كان يدبره لها خصومها الى شجاعة ولى العهد أفلح بن عبد الوهاب الذى عاجلته الحادثة وهو يتزين فخرج بأحد شقى راسه مضفرا والآخر دون تضفير ، ووقف وحده يدافع عن باب المدينة حتى انسلخت رجله الى العرقوب وحتى تحطمت درقته ، فاقتلع الباب الضخم يتقى به ضربات الأعداء . وكان من بين ضحايا افلح يزيد بن فندين الذى لم تمنع البيضتان اللتان كانتا على راسه من « أن يضربه أفلح على أم راسه ضربة »فقده والبيضتين والرأس ،وتشب السيف فى عمود باب المدينة ، وحس أفلح بن عبد الوهاب فى يده الشدة فظن ذلك كله رأسه فقال له : ما أقوا راسك يابربرى يامشوم »(١١٦) .

خلاف شعيب فى حيز طرابلس :

وبمقتل يزيد بن فندين انهزم أصحابه بعد أن تركوا من قتلاهم ١٢ (اثنى عشر) ألفا كانت دماؤهم تجرى كالسيل ، كما تبالغ الرواية ، على باب المدينة . وزعم أن الامام عبد الوهاب أمر عندما رجع بجمع القتلى ، وصلى عليهم ودفنهم . « طمعا فى العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين » ، فان شعيبا الذى فر الى حيز طرابلس ، ربما فى المنطقة الواقعة بين المدينة وجبل نفوسه ،وظل يظهر الخلاف للامام ويعلن البراءة منه ، وينشر دعايته المناهضة لامام تاهرت بين الحجاج الوافدين من المشرق (١١٧) . فكان وأصحابه يقولون : « قتل المسلمين » (١١٨) . ولم تثمر دعاية شعيب ضد عبد الوهاب ، اذ عندما وصلت أنباء تلك الفتنة الى أهل الدعوة بالحجاز من جماعة المسلمين ، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب ، « برءوا من شعيب ويزيد بن فندين وأصحابه الذين قتلوا معه ، ومن كان على سبيلهم الا من تاب . وكان الربيع بن حبيب يقول فى مجالسه : عبد الوهاب امامنا وتقينا وامام المسلمين أجمعين »(١١٩) .

---

(١١٦) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ – ب ، ١٨ – أ ، الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٤ .

(١١٧) انظر ابو زكريا ، ص ١٨ – أ ، ٢٨ – أ (الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٥) . اما ابن الصغير (ص ١٩) فانه يقول ان الامام عبد الوهاب هو الذى خرج اليهم وصرعهم فى لمح البصر .

(١١٨) الشماخى ، ص ١٥١ .

(١١٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ – أ : حيث قيل للربيع كيف تبرأ من شعيب من غير حدث ، فقال وأى حدث اعظم من براءته من عبد الوهاب أمير المؤمنين (الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٥) .

اعتزال المخالفين الذين عرفوا بالواصلية ، وتحول الامامة الى ملكية أى خلافة :

وبذلك تمت القطيعة تماما بين تاهرت وبين خصومها من أصحاب ابن فندين الذين بقيت فى نفوسهم حزازات وضغائن فتنحوا بناجيتهم بالقرب من تاهرت التى لم يعودوا يدخلونها ، ونظن أن ذلك هو السبب فى تسميتهم أيضا بالمعتزلة (١٢٠) لاعتزالهم أهل تاهرت ، وأن ذلك هو السبب فى تسميتهم فيما بعد بالواصلية ، ولو أن كتاب الاباضية يفرقون بين النكار وبين الواصلية من الخارجين على امامة تاهرت ، كما سنرى . هذا ، كما يمكن التفكير فى أن يكون المقصود بالاعتزال وبالواصلية هنا نوعا من الفكر الشيعى الزيدى الذى كان قد امتزج بالاعتزال عن طريق تلمذة الامام زيد لواصل بن عطاء حتى قيل انه صار « وجميع أصحابه معتزلة فى المذهب والاعتقاد(١٢١) . وهذا ما قد يعتبر من مقدمات قيام الدولة الادريسية(١٢٢) وحق لابن الصغير أن يقول : انه بعد انتصار عبد الوهاب هذا على خصومه اشتد أمره ، « وانتقل من حال الامامة الى حال الملك »(١٢٣) ، أى من حال الدولة الدينية الى حال الدولة السياسية ـ شبيها مما حدث فى دولة الخلافة أيام معاوية (١٢٤) .

ومع أن ابن الصغير يبدأ تاريخه لمرحلة « الملك » فى تاهرت بالافتراق الثانى الذى عرفته الاباضية على عهد عبد الوهاب أيضا ، ويجعل سبب الافتراق هو الخلاف مع قبائل هوارة ، فالأقرب الى المنطق أن تكون تلك المرحلة بعد الانتهاء من الصراع مع الواصلية فى أحوار تاهرت ، كما يفصل ذلك أبو زكريا ومن نقل عنه . وذلك أن هوارة كانت تسكن فى حيز طرابلس

---

(١٢٠) أنظر أبو زكريا (ص ١٨ ـ أ) الذى يعود فيكرر انهم تنحوا بالربوة أو الكدية التى سميت كدية النكار ، الشماخى ، ص ١٥٤ (حيث يسميهم معتزلة) .

(١٢١) أنظر ابن خلكان (عن الامام زيد المتوفى سنة ١٢٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٢٥ .

(١٢٢) أنظر فيما سبق ، ص ٣١٩ وهـ ١٠٨ ، هذا ، ولو أنه من الغريب أن ينكرس تقسيم البربر عند نسابتهم ، مع مرور الوقت ، الى . معتزلة واباضية وسنية ، بل وأن تنسب غالبية رواته فى أواخر القرن الخامس الهجرى/١١ م الى المعتزلة باستثناء بعضهم ، مثل : بنى برزال وبنى واسين الاباضية ، وكذلك بنى مغراوة وبنى يفرن السنية ـ انظر ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٣ ، حيث ينسب ابن حزم تلك الرواية ا لمعاصرة أبى محمد بويكنى البرزالى ، الناسك الاباضى ، الذى كان عالما بأنسابهم) .

(١٢٣) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٠ .

(١٢٤) أنظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ .

حيث كان النزاع الذى أدى الى الانشقاق الثاني بين الاباضية (١٢٥) ٠

الصراع ضد النكار والواصلية :

وحسب رواية أبي زكريا ينقسم الصراع بين عبد الوهاب وبين خصومه الى مرحلتين الأولى ضد النكار والثانية ضد الواصلية ، وهو الأمر الذى يتضمن فى ثناياه أن يكون هناك فرق زمني معقول بين الصراعين ٠

النكار :

وكان سبب الصراع ضد النكار هو اغتيال « ولى العهد » ميمون بن عبدالوهاب الذى قتل غدرا بليل، ومثل به فمزق لحمه اربا خارج تاهرت(١٢٦) ٠ ومع أن عبد الوهاب دفن ابنه دون أن يدرى من قتله ، فانه لم يلبث أن تيقن أن النكار هم الذين قتلوه ، وذلك عندما مر ابن لميمون بهم ، وهو يسعى فى بعض حاجاته ، فصاحوا به : « يا ابن المهدور دمه » ٠ وهنا قرر عبدالوهاب الانتقام من قاتلى ولده فجهز جيشا أنفذه اليهم ، ولكى يتم الثأر جعل قيادته الى واحد من أبناء القتيل ٠ وعلى بعد أيام من تاهرت التقى جيش عبدالوهاب بخصومه ، وهزمهم هزيمة منكرة حتى قيل انه عد من اسمه هارون ، وهو أقل الأسماء شيوعا بين القتلى ، فكانوا ٣٠٠ (ثلثمائة هارون) قتيلا (١٢٧) ٠

الواصلية :

أما عن الصراع ضد الواصلية فاتى بعد ما نزل بالنكار من الوهن والضعف ، مما يعنى أن جماعة الواصلية تختلف عن جماعة النكار ، وهو الأمر الذى يشير اليه أبو زكريا عندما يعرف الواصلية بأنهم « قوم من البربر

---

(١٢٥) انظر ابن الصغير ، ص ٢٠ ، حيث يحمل هوارة ولواته فى حيز تاهرت ، وهو الأمر الذى لا يتفق مع واقع الحال وان كان الأمر لا يمنع من وجود عشائر مهاجرة من طرابلس الى تاهرت ٠

(١٢٦) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - ب ؛ الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦) ، الذى يقول ان الامام جزع عندما رآه وقال . « أى بنى احتمعت فيك ثلاثة أمثال للعامة فى قولهم : ويل لمن مرت الخيل بكساه . ويح لمن أصيب بليل . وقال القائل : اذا مسست ابن السلطان فامسسه مسا عنيفا » ٠ وعن ولاية ميمون العهد ، انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ ٠

(١٢٧) أبو زكريا ، المخطوط ص ١٨ - ب (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦) ٠

أكثرهم قبائل زناته »(١٢٨) ٠ ويضيف الدرجيني الى ذلك أنهم كانوايعيشون قريبا من تاهرت ، وأكثرهم أهل البادية (١٢٩) وان عددهم كان – على أيام ميمون – نحو ثلاثين الفآ في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها(١٣٠) ، مما يعني أن الخصومة حملت هذه المرة طابعا عرقيا شعوبيا وليس مذهبيا ، كما في حالة النكار ٠ ويعطى أبو زكريا لخصومه الواصلية لونا سياسيا ،عندما يشير الى أنهم تحركوا « حين أحسوا ببعض الفرقة في الاباضية ، وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة »(١٣١) ٠ وواضح من النص أن زعماء الواصلية هؤلاء كانوا يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب ، مما جعل الكتاب ينسبونهم فعلا الى المعتزلة بعد أن كان اعتزالهم سياسيا بمعنى الانحياز عن مجتمع تاهرت والابتعاد عنه ٠ فهذا ما تشير اليه الرواية التي تقول : ان ابن سيدهم كان فارسا مغوارا صعب المنال ، وانه كان فيهم أيضا رجل مناظر يجيد فنون الكلام ، وكثيرا ما ناظر الامام : وكان شديد المعارضة حديد العارضة ، مما يفهم منه أن عبد الوهاب لم يكن له طاقة به في هذا الفن (١٣٢) ٠

الاستعانة بنفوسة في الصراع ضد الواصلية :

وهكذا نفهم من قصة الفارس الواصلي المغوار وصاحبه المناظر الشديد المراس أن جماعة الواصلية كانت قد قويت من الناحيتين العسكرية والمذهبية، وأن الأمر كان سينتهي بالصراع بينهم وبين امام تاهرت عندما اشتدت معارضتهم له ٠ وتقول رواية أبي زكريا ان عبد الوهاب أنذرهم وأعذرهم قبل أن يلقاهم في عدة معارك ٠ ويفهم من الرواية التي تنص على أن الامام استنجد في آخر الأمر بقبائل جبل نفوسة أنه لقى منهم شدة ٠ فقد طلب من نفوسة، « أن يبعثوا له جيشا نجيبا يكون فيهم رجل عالم بفنون الرد على المخالفين ، ورجل عالم بفنون التفسير ، ورجل شجاع بطل يبارز الفتى المعتزلي الموصوف

---

(١٢٨) السير واخبار الائمة ، المخطوط ، ص ١٩ – أ (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ أ ، المطبوع ، ص ٥٧) ٠

(١٢٩) الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٦ – أ (المطبوع ، ص ٥٧) ٠

(١٣٠) الطبقات المخطوط ، ص ٢٠ – أ ؛ المطبوع ، ص ٤٣) ، وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ٠

(١٣١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ –١٠ ٠

(١٣٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ – أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ – أ ؛ المطبوع ، ص ٥٧) ٠

بالشجاعة »(١٣٣) • واختار عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة أربعة رجال ارسلهم الى عبد الوهاب ، وهم : مهدى الويغوى الخبير بفن المناظرة ، ومحمد بن يانيس العابد الزاهد العالم بتفسير القرآن ، وأيوب بن العباس الفارس الذى لا يشق له غبار • أما الرابع فاختلف فى أمره فهو اما محمد أبو محمد او أبو الحسن الأيدلانى (١٣٤) •

ومع أن الامام الذى كان ينتظر عسكرا كثيفا من نفوسة ، حتى انه وعد من يبشره بوصولهم من عبيده بالحرية ، عجب من غير شك لوصول الرجال الأربعة وحدهم ، فان هؤلاء لم يلبثوا ان اكتسبوا ثقته فى أنهم اكفاء للقيام بالمهمة التى كان يرجوها من نفوسة • فبعد أن أنزلهم فى دار الضيافة وأجرى عليهم ما يلزمهم الى أن استراحوا ، ناقشهم فى أمر مواجهة الواصلية فى المناظرة والحرب • فعرف مهديا بأسلوب الفتى الواصلى المتحذلق للمناظرة، وفهم مهدى كيف كان المعتزلى يزوغ عن الحجة ويحيد عن الجواب ، وكيف كان يلبس على الامام ويسرق منه السؤال(١٣٥) • أما عن أيوب بن العباس فقد أذهل القوم بقوته الأسطورية حتى أنه عندما أراد اختيار فرس من دار الدواب فى تاهرت لم تعجبه جميع الافراس التى كانت تكاد تقع بين يديه ، عندما كان يجذبها (يجبدها) محاولا اختبار قوتها . حتى انتهى به الأمر

---

(١٣٣) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ ــ أ ، الدرجينى ، المخطوط ص ٢٦ ــ أ (المطبوع ، ص ٥٧) ، الشماخى ، ص ١٥٤ •

(١٣٤) ابو زكريا ، ص ١٩ ــ أ الدرجينى ، ص ٣٦ ــ أ (المطبوع ، ص ٥٧ ــ ٥٨) •
وتقول الرواية ان الاربعة عندما خرجوا فى هيئة السفر الى تاهرت أصر محمد بن يانيس على أن يكون خادما لهم ، فكان يجهز طعامهم ويعلف خيلهم ثم يقضى بقية ليلة قائما يصلى • وانه تمادى فى ذلك رغم اعتراضهم عليه والحاحهم فى أن يرفق بنفسه ، حتى انه عندما اخبرهم انه لن يصلى الا ركعتين لم ينته منهما الا مع طلوع الفجر ، لانه قرأ نصفا من القرآن مع كل من الركعتين • وبلغ أمر ابن يانيس من الاجتهاد فى الصلاة ليلا حتى فى الأيام الباردة الممطرة الى ان قالوا له « ان كان لا يدخل الجنة الا من كان مثلك يابن يانيس سيصيبك فيها الوحشة » (وقارن الدرجينى ، ص ٣٦ ــ ب ، ٣٧ ــ أ ، المطبوع ، ص ٥٨ ــ ٥٩) •

(١٣٥) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٠ ــ ب وتضيف الرواية هنا أن مهديا كان يترك أصحابه ويخرج لمناظرة المخالفين وأنه أعاد منهم الى المذهب تسعين عالما • أما عن صفات مهدى الذى أكل غداء رملائه ليلا وهو صحيح لم يطبخ فكانت ثلاث اذا قدم اليه اى طعام قضى منه حاجته ولا يبالى ، والثانية اذا أخذ غفوة من الليل اكتفى بها ولا يبالى ، والثالثة انه كان لا يخاف محالفا على نفسه أن يغلبه فى الحجة • وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٢٧ ــ أ ، ٢٧ ــ ب ، المطبوع ، ص ٥٩ ــ ٦٠) •

الى علاج فرسه الذى كان قد أصابه الحفا ، وذلك بالرمل المحمى الذى كان على الفرس آن يطأة بحوافره لمدة ثلاثة أيام (١٣٦) ٠

مناظرة حربية تنتهى بهزيمة الواصلية :

وهكذا عندما استعد الامام عبد الوهاب ، ضرب الموعد لخصومه الواصلية بعد ثلاثة أيام حيث خرج بعسكره ومعه جماعة نفوسة الأربعة . وتم اللقاء العجيب بين الاخوة المنشقين ، ودعا عبد الوهاب الواصلية الى الحق وأعذرهم ، ولكنهم طلبوا المناظرة ٠ وهنا صف كل من الطرفين صفوفه ، وكان على المتناظرين أن يتباريا بين الصفين ، ومع كل منهما وجوه أصحابه ٠ وخرج الفتى المناظر من المعتزلة، وخرج اليه مهدى الذى قدمه محمد بن يانيس. وأحس الفتى المعتزلى بشبح الهزيمة أمام مهدى فعرض عليه أن يستر كل منهما على صاحبه اذا تمت له الغلبة ٠ ومع أن مهديا وافق على ذلك الا أنه قال لأصحابه أن علامة انتصاره على المعتزلى أن ينزع شاشيته عن رأسه، ويضعها تحت ركبته ٠

وهكذا بدأ الجدل الفقهى بسيطا مفهوما من الحاضرين ، « فلم يفلح منهم أحد على صاحبه ، ثم أنهما دخلا فى فنون العلم ، فخفى ذلك عمن حضرهما » ، دون الامام بطبيعة الحال ٠ ولو أن الجدل بين العملاقين العالمين لم يلبث أن صار غير مفهوم من الجميع ، فكأنه « الصفق بين الحجرين » ٠ وعلى حين فجأة نزع مهدى شاشيته من على رأسه ، فكان ذلك علامة انتصاره، فعلا التكبير والتهليل فى صفوف الوهبية (١٣٧) ٠

وكان على المبارزة أن تبدأ بعد المناظرة ، فخرج الفارس المعتزلى المعروف بالشجاعة وخرج أيوب بن العباس للقائه ٠ ولم تكن الا حولة بالخيل أو بعض جولة حتى حمل أيوب على خصمه فقتله بسيفه القصير ذى الحد الواحد أو سلكه فى رمحه ، فكانت تلك اشارة ببدء المعركة الحامية الوطيس. وكان بطلا تلك الملحمة : افلح بن الامام الذى صار يضرب فى ناحية ، وأيوب

---

(١٣٦) أبو زكريا ، المخطوط ص ٢١ — أ ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٢٧ — ب (المطبوع ، ص ٦٠ — ٦١) ٠

(١٣٧) أبو زكريا المخطوط ٢١ — ب هذا . بينما احتج الفتى المعتزلى على مهدى وقال له غدرتنى يامهدى وقارن الدرجينى المخطوط ، ص ٢٧ — ب ، المطبوع ، ص ٦١ (حيث القلنسوة على رأس مهدى بدلا من الشاشية) ٠

ابن العباس الذى كان يضرب فى الناحية الاخرى · وانتهت المعركة الدامية بهزيمة الواصلية بعد أن بقى معظمهم مجندلين فى ميدان القتال (١٣٨) ·

وبذلك يكون الامام عبدالوهاب قد كسر شوكة خصومه المذهبيين فى احواز تاهرت ، وعن هذا الطريق تصح مقالة ابن الصغير من أنه « انتقل من حال الامامة الى حال الملك » ·

مقدمات الانشقاق الثانى :
اضطراب منطقة طرابلس :

وتبدأ حال الملك السياسية بالافتراق الثانى بين الاباضية ، وذلك فى الجناح الشرقى من الامامة ، فى منطقة طرابلس حيث يبدأ بالصراع مع قبائل هواره ، كما يقول ابن الصغير ، وهو الأمر الذى تؤيده رواية أبى زكريا التى تمهد للانشقاق بحصار مدينة طرابلس التى كانت تابعة للاغالبة · واذا كانت الرواية الاباضية تقول ان عبد الوهاب عندما اتخذ طريق المشرق كان يقصد الحج ، فانه مما يشكك فيها أنها تشبه الرواية الأغلبية الخاصة بالأمير ابراهيم بن أحمد ، عندما ترك الامارة وسار للجهاد فى صقلية (١٣٩) فقيل انه كان يقصد الحج · فعندما وصل الامام الى جبل نفوسة رفض أهل الجبل أن يتركوه يواصل طريقه خشية المسودة « فتتعطل أمور المسلمين وحدود الله » · ومما يؤيد الشك فى أمر الحج أن اقامة الامام عبد الوهاب فى جبل نفوسه (فى بنى زمور) التى طالت الى سبع سنوات ، لا يكفى لتفسير طول أمدها أنه كان ينتظر وصول الفتوى من علماء المذهب فى مكة — وهم : أبوعمرو

---

(١٣٨) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ — أ : حيث يقول ان عدد من قتلهم افلح زاد ولحدا فقط عن عدد من قتلهم ايوب · كما أن ايوبا ضرب بسيفه عمودا وهو يظنه رجلا فصار العمود نصفين · وترى الرواية الاباضية ان الواصلية ارادوا الغدر بايوب بعد يومين فدعوه فسار اليهم رغم نصح الناصحين له بالا يفعل · وفى حى الواصلية ظهر ايوب بمظهر الرجل الخارق ، كما يقال الآن ، فهو يأكل قصعة الثريد والشاة التى عليها حتى عظامها ، ويشرب وطب اللبن كله ثم يقضى ليله مكتا يقرأ القرآن ، ويصلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة · وعند طلوع الشمس يلاعب فتيان الحى على الخيل ، وعندما حاول البعض انتهاز الفرصة فشدّ على ايوب بالرمح كان نصيبه القتل مع سبعة من أصحابه ، ولم يتوقف ايوب عن القتل الا عندما صاحت به نساء الحى يرجونه الكف · وفى طريق عودته الى تاهرت يقطع ارجل سبع ولبؤة وينادى من يريد أكل اللحم من أهل الوادى من البربر ، فاكل من يأكل المكروه (وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ٦٢ — حيث : شكه بالرمح واحتمله كالجرادة بدلا من سلكه فى الرمح) ·

(١٣٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤٩ ·

والربيع بن حبيب وابن عباد ـ بأنه يمكنه بعث مال ليحج به من ينوب عنه، وبأنه « ليس عليه حج لأن أمان الطرق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه » (١٤٠) « والحقيقة أن خصوم الامام عبد الوهاب في منطقة طرابلس كانوا يسببون له المتاعب ، منذ أن لجأ الى هناك شعيب المصرى حليف يزيد بن فندين بعد مقتل هذا الأخير ، كما رأينا (١٤١) ٠

الحرب مع هوارة :

ومع أن رواية ابن الصغير عن الافتراق الثاني لا تتعلق بهذا الانشقاق مباشرة فانها تصلح كمقدمة منطقية له رغم ما يكسعها من الأخطاء مثل اقامة هواره ولواته في حيز تاهرت ٠ فالذى يفهم منها أن مصاهرة كادت تتم بين بعض مقدمى قبائل هواره من بني مسالة الذين يعرفون بالأوس ،وبين بعض زعماء قبائل لواته، عندما خطب الأول ابنة الثاني التي عرفت بحسنها وجمالها، وأن بعض المقربين من الامام عبد الوهاب حذره من مغبة تلك المصاهرة أو ذلك الحلف ، مما دعا عبد الوهاب الى خطبة الصبية الهوارية الجميلة لنفسه ٠ وكان من الطبيعي أن يغضب مقدم الأوس ، وخاصة عندما مشت السعاة بين الفريقين ، مما أدى الى الحرب واغارة هوارة على أعوان عبد الوهاب، قرب نهر يقال له نهر أبي سعد الله ٠

والذى يفهم من الرواية أيضا أن المسالة كان يمكن أن تنتهي عند هذا الحد ، لولا ما قيل من أن هوارة أخلت بمبادىء المذهب ، عندما سمح بعض رجالها بأخذ خاتم من أصبع قتيل في تلك المعركة رغم أنه لم يسلب : فلم ينزعوا له ثوبا ولا أخذوا له فرسا ولا سرجا ولا لجاما ٠ اذ لما عرف الامام أن هوارة قد استحلوا الاموال أعد العدة لقتالهم ، فخرج اليهم في ألف فرس أبلق وحشود من العسكر لا يعلم عددها الا الله ، وكانت نفوسة تمثل جزءا كبيرا منهم ، مما يؤيد أن اللقاء كان غير بعيد من جبل نفوسة ، ان لم يكن قد وقع في الجبل نفسه ٠

وتم اللقاء بين الامام وبين بنى أوس وهوارة ومن معهم من القبائل على مجرى نهر جاف يقال له أسلان ، وانتهى القتال العظيم ، الذى ثبت فيه

---

(١٤٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٣ ــ أ ، ٢٣ ــ ب ، وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٦٥ ــ ٦٦ (حيث الاشارة الى الاخوان في المشرق ، والمقدم في ذلك العصر : أبو الربيع حبيب ، وابن عباد المصرى) ، الشماخي ، ص ١٥٩ ٠

(١٤١) أنظر فيما سبق ، ص ٣٢٣ ٠

الناس : « لا يولى بعضهم لبعض الدبر حتى سال الوادى ذلك اليوم دما » ، بانهزام الهواريين ، ولكن بعد أن هلك خلق كثير ، وان « كان القتل فى هوارة أفضح وأشنع » . وأثبت افلح بن عبد الوهاب من حديد بطولة نادرة فى المعركة ، فكان يجول فى ميدان القتال ذات اليمين وذات اليسار وفى القلب ، مما لفت نظر عبد الوهاب الذى كان جالسا فى محمل والى جانبه رجل من نفوسه ، وهو يدير المعركة بحماس أثار الفزع فى قلب عديسلة النفوسى . ولو أن الرواية تعود لتقول أن عبد الوهاب هو الذى فض جمع القوم بكتيبته .

وهكذا انتهت الموقعة بانهزام هوارة الى جبل يسجان (ايكجان ؟) ، وبترشيح أفلح بن عبد الوهاب لولاية عهد امامة تاهرت بعد والده « فانقطع اليه المنقطعون ودارت اليه الحوائج والعطاء من تحت يديه ... »(١٤٢) .

عبد الوهاب فى جبل نفوسة وحصار طرابلس :

والظاهر أن توتر الأحوال فى منطقة طرابلس هى التى جعلت الامام عبد الوهاب يقيم فى جبل نفوسة ، وهو أحد مواطن الدعوة الرئيسية ، تلك الاقامة التى طالت الى سبع سنوات كما تقول الرواية . وعندما استقرت الأمور فى الاقليم رنا عبد الوهاب بانظاره نحو مدينة طرابلس العاصمة نفسها، على أمل انتزاعها من الأغالبة . ولا نعرف ان كان يمكن الربط بين أحداث بلاد الزاب حيث قام الصراع بين الأغالبة وبين القبائل الاباضية هناك ، وبين محاولة عبد الوهاب الاستيلاء على طرابلس أم لا . والمهم أن عبد الوهاب سار لحصار المدينة ، كما يقول أبو زكريا ، ومعه أهل الاقاليم المتاخمة لها وأهل جبل نفوسة وعامة من بجبالهم . وأنه دار مع أهل المدينة ومن معهم من الجند الأغلبى قتال شديد ، « استشهد » فيه عابد جبل نفوسة وزاهدها مهدى(١٤٣) الذى قال فيه ابن خالته ، عندما تخاصما فى حضرة عبد الوهاب انه اشتغل بآخرته حتى أضر بدنياه .

وهذه الشهادة هى التى أقرها الامام أثناء اقامته تلك بجبل نفوسة ، عندما لجأ فى يوم مطر وقر الى دار مهدى فلم يجد فيه شيئا مما أشعره فعلا

---

(١٤٢) ابن الصغير ، ص ٢٠ – ٢٣ .

(١٤٣) ابو زكريا ، ص ٢٣ – ب (الذى كان وجهه يعبس او ينبسط وهو قتيل عندما يسمع هزم المؤمنين او هزم المسودة) .

بالضرر ، بينما وجد في دار ابن حالة مهدى المترفة ما كان يلزمه من الثياب النطيفة ، والفرش والطعام ، فضلا عن النار التى بعثت الدفء فى أوصال الجماعة ، وهذا ما جعل الامام يرجع فى حكمه ، ويقيم الحجة لابن حالة مهدى(١٤٤) . وهذا يعنى تطور فى أفكار الاباضية نحو التخفيف من التزمت في مسائل الزهد ، والتسامح التدريجى فى مسائل الدنيا وما يتعلق بها من المعاملات ، حتى انتهى الأمر بأن أصبح « الرخص » سمة من سمات فقههم .

ازمة عدم ثقة بين عبد الوهاب وأتباعه :

والغريب فى الأمر أن ابن الصغير لا يذكر شيئا عن حصار عبدالوهاب لطرابلس ، بينما لا يعرف أبو زكريا الاتفاقية السياسية التى انهت اليها حرب طرابلس مع الأغالبة فى سنة ١٩٦ هـ/٨١٢ م ، وذلك باعتراف عبدالله ابن ابراهيم بن الاغلب بالسيادة للاباضية على الأقاليم الـــــداخلية من طرابلس (١٤٥) ، وان كان ما يقوله بشأن تلك الحرب يمكن أن يكون اضافة الى ما تسجله الحوليات الافريقية . فأبو زكريا يشير الى أنه حدث نوع من عدم الثقة بين الامام عبد الوهاب وأتباعه بلغ حد أنه ، عندما كان يتناجى معهم عن حرب الأغالبة (كيد العدو) كان يخرج سرهم رغم ما اتخذه من الاحتياطات التى انتهت بتقليل عدد من كان يتناجى معهم ، حتى ارتاب فى الأمر هو ووزيره ابن عمران الذى لم يعد يتناجى مع أحد سواه . وحتى قال عبد الوهاب انه لا يستطيع أن يحاصر طرابلس برجل واحد ، فعاد أدراجه الى جـــــبل نفوسه ، « وقد آيس (يأس) من فتح المدينة » ، رغم حلمه واحتماله وصبره . وفى الجبل أقام عبد الوهاب لبعض الوقت وهو ينشر العلم بين اهله ويحكم بين المتخاصمين من أهل المذهب (١٤٦) .

والذى يفهم من الروايات الإباضية أن الامام عبد الوهاب كان يقيم فى جبل نفوسه فى منطقة بنى زمور حيث عرف الجبل هناك باسمهم ، وحيث كان للامام مصلى فى قرية تلالت (١٤٧) . واثناء مقام الامام عبد الوهاب هناك

---

(١٤٤) ابو زكريا ، ص ٢٣ - ا .

(١٤٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٠ وهامش ٦١ .

(١٤٦) ابو زكريا ، ص ٢٣ - ب .

(١٤٧) وكان فى المكان الذى يصلى فيه ملاطه يتكىء عليها ويبلغ ارتفاعها الى ارتفاع رأسه وهو جالس . وكانت على أيام أبى زكريا « تبلغ للواقف الى الصدر » ، مما يعنى عظم قامة عبد الوهاب . السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب . أما بنى زمور فهي ممسوخة فى شكل دمر . وقارن الشماخى : السير ، ص ١٥٩ .

استعمل رجلا على المنطقة يقال له مدرار (١٤٨) ٠

الخلفية : الانشقاق الثانى :

وبسبب الولاية على حيز طرابلس ، وهل يجب أن يستمع الامام الى رغبة اهل المنطقة فى اختيار واليهم ، أم أنه صاحب الحق المطلق فى تولية من يشاء وحجب ولاية من يشاء ، مما يذكر بمسالة الشرط التى كان يطالب بها يزيد بن فندين ، كان الانشقاق الثانى او الافتراق بين اباضية الرستميين٠

السمح بن أبى الخطاب : وولاية طرابلس :

فعندما قرر عبد الوهاب العودة الى تاهرت طلب اليه أهل حيز طرابلس ان يولى عليهم أبا عبد الأعلى السمح بن أبى الخطاب عبد الأعلى ٠ وتظهر رواية ابى زكريا أن عبد الوهاب لم يكن راضيا عن ذلك ، ولكن على أساس أن السمح وزيره ، وأحب الناس اليه وأنصحهم له ، وأنه لكل ذلك لا يحب مفارقته ٠ وأمام الحاح الناس وافق عبد الوهاب على تولية السمح على حيز طرابلس الذى نظن أنه يعنى المنطقة الواقعة بين المدينة وبين جبل نفوسة ، على أساس أنه آثرهم على نفسه(١٤٩) ٠ وأحسن السمح السيرة فى رعيته وفرق أعوانه فى أرجاء البلاد ، وهو مقر بامامة عبد الوهاب ، ناصح له الى أن مرض مرضه الذى مات فيه ٠ واجتمع أعيان أهل الاقليم يطلبون اليه الوصية ، فأوصاهم ، كما يقول أبو زكريا ، بتقوى الله واتباع أمر الامام عبد الوهاب وطاعته « ما دام مستقيما على الحق الذى عليه سلفكم وجهاد من خالفكم » ٠

خلف بن السمح ، وولاية طرابلس :

ولكنه عندما توفى السمح كان لموته صدى عظيم فى نفوس الناس الذين أحبوه وعظموه حتى أنهم ائتمروا بأمر العامة من الناس « ممن ليس له بصيرة، بأمور الدين ولا علم بأمور المسلمين » : فولوا على أنفسهم ابنه ، وهو : خلف ابن السمح (١٥٠) ٠ ونحن لا ندرى ان كان خلف هو اسمه الحقيقى أم أنه اسم تجريح اطلقه عليه الكتاب من خصومه ، كما سيطلقون عليه لقب الخبيث

---

(١٤٨) أبو زكريا ، ص ٢٣ - أ ٠

(١٤٩) ابو زكريا ، ص ٢٤ - ب وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ٦٧ ، الشماخى ص ١٦٢ ٠

(١٥٠) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب ٠

ابن الطيب(١٥١) ، تماما كما فعل أهل السنة بمحمد بن أبى بكر الذى اتهم فى مقتل عثمان ، وكما فعل كتاب الامويين بأبان بن عثمان عندما اتيم فى فتنه ابن الزبير ٠

ورغم اعتراض علماء المذهب مثل : أبى المنيب اسماعيل بن درار الغدامسى ، وأبو الحسن أيوب عامل الامام على جبل نفوسة ، على هذا الاجراء ولفتهم الانظار الى أنه لا يجوز أن يسبقوا امامهم الى شئ من أمورهم ، رد الراغبون فى تولية خلف بأنه اذا لم يرض الامام عنه عزلوه ٠ وبعد أن أعلنوا ولايه خلف عليهم كتبوا بذلك الى الامام ٠

عبد الوهاب لا يوافق على ولاية خلف :

وكان رد عبد الوهاب الذى يحمل فى كتابه لقب أمير المؤمنين (١٥٢) على أهل حيز طرابلس ان من ولى خلفا بغير رضاء أمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين . وان من أبى توليته فقد أصاب ، ثم انه أقر كل العمال الذين استعملهم السمح الا خلف بن السمح الى أن يأتيه أمره ، كما أمرهم بالتوبة من هذا العمل - وتمسك أنصار خلف به وراجعوا عبد الوهاب فيما كتب به اليهم ، وطلبوا اليه أن يستجيب لرغبتهم فى تولية خلف ٠ ورفض الامام ذلك مستندا الى أنه لا يسعه ذلك فيما بينه وبين ربه ، وطلب اليهم من جديد أن يتوبوا ، كما أرسل كتابا خاصا الى خلف يعرفه فيه بأنه حرام على من يقدم اليه صدقات ماله أن يفعل ذلك ، وأنه حرام عليه أن يأخذها ، وأمره بأن يعتزل أمور المسلمين ٠

خلف يرفض الاعتزال :

ولم يكن من الغريب أن يرفض خلف ، وهو حفيد الامام الأول أبى الخطاب الاعتزال ، وأن يعتز ويأبى ويستكبر ، فى الوقت الذى تمادى الجهال فى توليته ، بينما تركه المسلمون فى غيه وزيغه ، كما يقول أبو زكريا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٥٣) ٠

---

(١٥١) ابو زكريا ، ص ٢٥ ــ ب (الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣١ ــ ب ، المطبوع ، ص ٧٠) ٠

(١٥٢) ابو زكريا ص ٢٤ ــ ب ٠

(١٥٣) السير واخبار الائمة ، المخطوط ، ص ٢٥ ــ ا ٠ وتقول الرواية ان الامام عبد الوهاب كتب كتابين الى خاصة حيز طرابلس احدهما فيه عزل خلف والثانى فيه تعيينه =

استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالاستقلال :

وكما جرت العادة من قبل ، بعث المخالفون لعبد الوهاب كتابا الى مشايخ المذهب فى المشرق وكان راسهم فى ذلك الوقت هو ابو سفيان محبوب ابن الرحيل (١٥٤) .

ورغم أن ابن الرحيل كتب اليهم يخطىء من لم يوافق عبد الوهاب ويحضهم على طاعة الامام ، فانهم صرفوا النظر عن جوابه الذى لم يصادف هواهم ، وأعلنوا أن عبد الوهاب ليس امامهم ، واعتلوا بأنهم يسكنون فى اقليم منقطع عن بلاده ، مما يسمح لهم بأن يكون لهم امامهم الخاص ، وهو خلف بن السمح . وعلى هذه المسالة وعد أبو زكريا بأن يرد فى كتاب خاص يكرسه لافتراق الاباضية ، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك على ما نفهمه من الدرجينى (١٥٥) . وكان ذلك يعنى اعلان استقلال اباضية حيز طرابلس الذى كان تابعا لجبل نفوسة عن امامة تاهرت ، وقبل ذلك عن ولاية جبل نفوسة ، واعلان امامة خلف .

ابو عبيدة عبد الحميد الجناوى واليا لجبل نفوسة : والنزاع بين اباضية طرابلس واباضية نفوسة :

توفى عامل جبل نفوسة أبو الحسن أيوب الذى كان مناهضا لخلف ابن السمح ، وأرسل أهل الدعوة فى الجبل الى عبد الوهاب يطلبون تولية عامل جديد عليهم ، حسبما كانت تقضى تقاليد الجماعة والمحافظة على

= واليا اذا قبل كتاب العزل الاول ولم تكن له رغبة فى الأمور ، وان خلفا رفض كتاب العزل فتركه الخاصة من اهل طرابلس فى فية الى ان يحكم الله بينه وبين الامام (وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ٦٩) .

(١٥٤) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - أ ، ٢٥ - ب حيث يعتبره تابعا لطبقة الربيع ابن حبيب ، وابى غسان بن مخلد بن المرد ، وابى المهاجر ، وابى أيوب وائل .

(١٥٥) ابو زكريا ، المخطوط ، ٢٥ - ب : حيث يقول انهم فعلوا ذلك من غير حدث سواه لم يكن بيننا وبينهم مسائل الا الاقرار بامامة عبد الوهاب - رضى الله عنه . وقارن الدرجينى ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، ٢٢ - أ (المطبوع ، ص ٤٧ - ٤٨) : حيث يذكر ان الشيخ اسماعيل بن صالح سال الشيخ ابا نوح بن يوسف عن الكتاب الذى وعد به الشيخ ابو زكريا ، فرد عليه بأن الذى قام به عنه هو الشيخ أبو عمار عبد الكافى وهو الكتاب الموجز . وعن اعلان امامة خلف ، قارن الشماخى . ص ١٨١ حيث يقول : « واعتلوا بأن حوزة طرابلس منقطعة عن حوزة تيهرت وسيدة منها » .

الشكليات . وقد أرسل الامام بدوره الى قادة أهل الدعوة يطلب اليهم ترشيح من يرضون عنه من أفاضلهم وأولادهم بادارة أمور المسلمين ، ووقع الاختيار على أبى عبيدة عبد الحميد الجناوى ، وهو رجل من ناحية ايجاوزعرف بالصلاح والتقوى والعفاف والزهد فى طلب الدنيا وتولى المناصب .

وهكذا فعندما عرضوا الولاية على أبى عبيدة ، قال : « أنا ضعيف لست أقدر على القيام بأمور المسلمين » . وكان زهد أبى عبيدة فى الولاية سببا فى تشبث الامام عبد الوهاب - الذى كان يميل الى من ليست لهم رغبة فى الولاية ، وهو الرأى المعروف عند كثير من الفقهاء المسلمين وقتئذ - به . وفى ذلك يقول أبو زكريا : ان الامام عبد الوهاب حلف لهم بالعربية والبربرية، وبالحضرية ، وبالحبشية : انه لا يقلد أمور المسلمين الا رجلا يقول « أنا ضعيف » (١٥٦) .

واذا صح هذا الأمر فان مجتمع الاباضية فى تاهرت يكون مؤلفا فى ذلك الوقت من العرب والبربر والسودان ، من أهل البادية ومن أهل الحضر أيضا . وهكذا لا يكون « الضعف » فى الفكر السياسى الاباضى مانعا من تقلد الولاية . ففى رأى عبد الوهاب أن الشخص المرشح لتقلد مصالح المسلمين يمكن أن يكون ضعيفا من ثلاثة أوجه : ضعف البدن ، أو قلة العلم ، أو الفقر فى المال ، مما يعنى بطريقة عكسية ، أن شروط الولاية هى : صحة البدن وكثرة العلم ووفرة المال . وفيما يتعلق بأبى عبيدة عبد الحميد قال الامام : انه ان كان ضعيف البدن قواه الله بالدخول فى أمور المسلمين ، وان كان ضعيفا فى العلم فعليه بالاستعانة بأبى زكريا يصلتن التوكيتى أوحد أهل الجبل فى العلم والفضل ، وفيما يتعلق بالفقر ، لو كان ، فيمكنه الاستغناء ببيت مال المسلمين (١٥٧) .

وهكذا ولى أبو عبيدة عبد الحميد على جبل نفوسه وأحسن السيرة (١٥٨)

---

(١٥٦) أبو زكريا ، ص ٢٦ - أ ، الدرجينى ، ص ٣١ - ب (المطبوع ، ص ٧١) ، وقارن الشماخى ، ص ١٨٢ .

(١٥٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٦ - أ ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ - أ ، المطبوع ، ص ٧١ ، الذى يقول عن ضعف البدن ان « الحق » يقويه ، ويسمى أبا زكريا بالإلاوتى .

(١٥٨) أبو زكريا ، ص ٢٦ - أ : حيث تأخذ الرواية طابعا قصصيا فتقول انه لم يقبل الا بعد أن استشار عجوزا معروفة بالصلاح والورع والتقوى ، وبعد أن هددته بتفسيخ عظامه فى جهنم اذا لم يقبل . وقارن الدرجينى ، ص ٣١ - ب (المطبوع ، ص ٧١) .

بفضل من كان حوله من علماء الجبل وفضلائه وزهاده ، مثل أبي زكريا الذي قيل فيه « الجبل هو أبو زكريا ، وأبو زكريا هو الجبل » ، وأبي مرداس العابد الزاهد الذي اشتغل بأمر آخرته حتى ضيع أمر دنياه ، وأبي العباس(١٥٩) .

معارضة خلف لولاية عبد الحميد :

وعندما علم خلف بن السمح بتولية أبي عبيدة عبد الحميد أخذته العزة بالاثم واستكبر ، كما يقول أبو زكريا ، وعمل على أن يفرض أمر ولايته الواقع « فدس الغارات واللصوص على أهل الدعوة» ـ دعوة المسلمين من رعية أبي عبيدة (١٦٠) . ورد أبو عبيدة على استفزازات أفلح بطلب الكف عن اذاية المسلمين ، والاكتفاء بكون الخلاف نظريا أو تركه على مستواه القانوني . ولكنه أمام اصرار خلف على اعماله العدائية أرسل يطلب الاذن من تاهرت بمناجزته . وكان رد الامام عبد الوهاب أن يستخدم أبو عبيدة المداراة والملاطفة مع خلف والا يحاربه الا حرب دفاع عن النفس والمال . وهكذا كانت أوضاع امامة تاهرت وعلاقتها بجبل نفوسه وحيز طرابلس عندما توفي الامام عبد الوهاب في سنة (١٩٨ هـ) .

عهد افلح بن عبد الوهاب (بن عبد الرحمن بن رستم) (١٩٨ ـ ٢٤٧ هـ / ٧٨٤ ـ ٨٦١ م) :

صفات الامام الجديد : الشجاعة والعلم :

كان من الطبيعي أن تؤول الخلافة ، كما يقول ابن الصغير ، الى افلح بن عبد الوهاب ، بعد وفاة والده الذي كان قد رشحه للامارة . فلقد كان أفلح مؤهلا لولاية امامة تاهرت ، لما عرف عنه من الشجاعة التي أظهرها في أكثر من لقاء مع الخصوم ، والعلم الذي نبغ فيه وهو بعد شاب يافع ، حتى قيل: « انه قعد بين يديه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلغ الحلم »(١٦١) .

---

(١٥٩) أبو زكريا ، ص ٢٦ ـ أ ، ٢٦ ـ ب أما عن تاهرت ، كما قال أهل المشرق فلم يكن يعد فيها الا الامام عبد الوهاب ووزيره مزور بن عمران .

(١٦٠) أبو زكريا ، ص ٢٦ ـ ب (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٠ ـ ب ، المطبوع ، ص ٧١) .

(١٦١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ ـ أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ ـ أ (المطبوع ، ص ٧٧) . والى جانب علوم الدين قيل انه وكذلك انه بلغا في حساب الغبار والنجامة سلفا عظيما حتى انه كان يعرف عدد ما سيذبح في السوق من البقر في اليوم التالي ، ...

وهكذا وجـــد رؤساء الجماعة الاباضية بتاهرت فى ولى عهـد الامام عبد الوهاب أهم صفتين لازمتين للامام ، وهما الشجاعة اللازمة للامام فى وقت الخوف من الاعداء الذين تدانوا من تاهرت طمعا فى الاستيلاء عليها(١٦٢) ، وما يتبعها من العزم والحزم(١٦٣) ، ثم العلم اللازم لمناجرة الخصوم المذهبيين بعد أن أخذت الانشقاقات تدب بين أبناء أهل الدعوة ، مما تطلب مناجزتهم بالمناظرات قبل السيوف . وهكذا حذا فقهاء الاباضية حذو مشرعى أهـــل السنة الذين يشترطون فى اختيار الامام : العلم وقت السلم والشجاعة وقت الحرب (١٦٤) ، وان كان الاباضية يصرون على خصلة التواضـــع وضرورة المشورة فيمن يلى أمور الجماعة ، من الامام الى أعوانه (١٦٥) .

والمعلومات الخاصة بامامة أفلح ابن عبد الوهاب تنقسم ، كما يبدو لنا فى المصادر الاباضية الى قسمين : أحدهما خاص بأحداث تاهرت ، وهذه توجد فى كتاب ابن الصغير ومن نقل عنه ، والآخر خاص بأحوال جبل نفوسه وحيز طرابلس ، وتلك توجد فى كتاب أبى زكريا ومن أخذ عنه . ولكنه مما يؤسف له أن عهد أفلح الذى طال الى حوالى ٥٠ سنة أو يزيد (١٦٦) ، كان من المفروض أن تعج بالأخبار التاريخية الهامة ، لا يظهر لنا فى كتب أهل المذهب الا فى شكل السيرة المنقبية المعتادة ، دون تواريخ الوقائع أو علامات مميزة تبين العلاقات الرسمية بين الأحداث المتوالية بطريقة عفوية من غير ضابط وقتى أو رابط .

= بل وانه كان يعرف أنه ستذبح بقرة صفراء فى بطنها عجل له غرة فى جبهته . وان أخته كانت تستطيع أن تصحح له ذلك بتعرفه ان ما توهمه غرة فى جبين العجل الذى لم يولد بعد ، انما هو طرف ذنبه الأبيض الذى انقلب على جبهته .

(١٦٢) الدرجينى ، ص ٣٢ — ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وانظر الشماخى ، السير ، ص ١٩٢ .

(١٦٣) ابن الصغير ، ص ٢٣ .

(١٦٤) انظر الماوردى ، الفصل الخاص بعقد الامامة .

(١٦٥) انظر الشماخى (ص ١٩٢) الذى ينقل عن ابن الصغير روايات لا نجـدها فى طبعة موتيلينسكي عن كيفية امتحان نفوسه لافلح وثبوت تواضعه لهم . فقد كان يحمل لهم المصباح يستضيئون به وهم يأكلون ليلا ، وعندما اعطوه لقمة من الطعام جعل المصباح على ركبته فأخذها بيديه معا كالملوك .

(١٦٦) انظر ابن الصـــغير ، أخبـــار الأئمة ص ٢٦ (٥٠ سنة) ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ — ب (٦٠ سنة . والدرجينى ، المطبوع ، ص ٨٣) .

تاهرت على عهد افلح :

ويلخص ابن الصغير عهد افلح الطويل فيقول انه تميز بسياسة الأخذ بالعزم والحزم فطار صيته واستقرت أمور دولته ودان له الجميع : من أهل المذهب ، ومن الخارجين عليهم من الشراة الذين لم يطعنوا عليه في شيء من أحكامه ، ولا في صدقاته ولا في أعشاره (١٦٧) ، فكانت النتيجة الطبيعية لذلك ، هي : ازدهار تاهرت ، ذلك الازدهار الذى نسبه نفس الكتاب الى عهد المدينة الأول أيام عبد الرحمن بن رستم ·

رضاء « الشراة » عن افلح الذى كان يشاورهم فى الأمر :

اما عن رضاء الاباضية الذين يسميهم ابن الصغير بالشراة عن امامة افلح ، فقد أتى نتيجة سياسته المتزنة التى لم تنكر عليهم المشاركة بالرأى في تدبير أمورهم · فلقد بدأ « الشراة » بامتحانه عندما توفى قاض من قضاة والده عبد الوهاب ، فسالوه أن يولى عليهم قاضيا يستحق القضاء ، فطلب اليهم أن يتفقوا على من يريدون من بين خيارهم وأنه سيعينه ، ويعاضده في القيام بأمره ·

اختيارهم لمحكم الهوارى قاضيا :

ولم يجد « الشراة » بينهم من يستحق القضاء ، بل وقع اختيارهم على أحد مشاهير أهل الورع والدين ، وهو محكم الهوارى الساكن بعيدا بجبل أوراس (١٦٨) · وعندما أخبروا الامام افلح بذلك لفت نظرهم الى أن الرجل « نشأ فى بادية ، ولا يعرف لذى القدر قدره ، ولا لذى الشرف شرفه » · وأمام تمسك الجماعة برأيهم وافق افلح ، وخاصة ان أخاه أبا العباس كان من أشد المحبذين لولاية محكم ·

وظهرت مشاركة الجماعة فى تدبير أمورهم عندما « خرجت الرسل بكتاب من افلح وكتاب من « الشراة » الى محكم » ، فى داخل كل كتاب منهما ، بعد اثبات بسم الله العظيم : « أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى بهم عن حضورك ، وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رايك ورايهم على ما فيه صلاح

---

(١٦٧) ابن الصغير ، اخبار الائمة ، ص ٢٣ ·

(١٦٨) ابن الصغير ، ص ٢٣ ·

المسلمين »(١٦٩) .

بدوى بين مرفهين ، لا يفرق بين المتخاصمين :

وأخذ محكم كساه وعصاه ، وركب دابته متجهاً نحو البلدة (تاهرت) حيث نزل فى المسجد الجامع . وأتى القوم اليه وسألوه أن يقبل القضاء والا كان مسئولا عما يحدث من الفتن واراقة الدماء ، بل انهم ابتغوا ذلك بالتهديد بأنهم سيجبرونه على تقلد المنصب ، وأن الأولى به أن يقبل حتى يكون جزاؤه الشكر منهم . وأمام الحاحهم قبل الرجل البدوى الخشن ولاية القضاء بعد أن حذرهم ، من : « ان الحق مر أمر من الدواء ، ولا يشرب الدواء الا كرها » وبعد أن عرفهم بأنهم مرفهون أبناء نعم ، وان غيره ربما كان أحب اليهم منه (١٧٠) . وهكذا انزل القوم محكما الهوارى فى دار القضاء ، واشتروا له خادما صغيرة ، وأجروا عليه من بيت المال قوته (١٧١) .

وسار محكم فى قضائه السيرة التى أملوها منه فلم يفرق فى أحكامه بين غنى وفقير أو شريف ووضيع . فعندما تنازع أبو العباس ، وهو أخو أفلح الذى كان من الراغبين فى تولية محكم ، مع أحد أصهار الامام بسبب قطعة من الأرض ورفعا أمرهما الى أفلح ، أمرهما الامام بالمسير الى محكم الهوارى . وعندما رأى محكم أن أبا العباس يسمح لنفسه بطلب الماء ، وهو فى مجلس القضاء فى سقيفة داره بينما خصمه واقف بالباب ، غضب لذلك وأمر بأن يقدم الماء الى الخصم حتى يساوى بينهما مما أثار حفيظة أبى العباس . وعندما اشتكى أبو العباس من معاملة محكم قال له الامام أفلح ان الحق كان فى جانب محكم وانه لو فعل غير ذلك لكان مداهنا ، مما زاد فى اعجاب الاباضية بامامهم الذى لا يعرف الهوادة فى الحق ولا يخشى فيه لومة لائم (١٧٢) .

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت :

وهكذا توطدت أركان الامامة الرستمية وازدهرت تاهرت على عهد افلح الذى طال ملكه حتى نشأ له البنون وبنون البنين ، وشمخ فى ملكه ، وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد ، وبنى الجفان ، وأطعم فيها أيـــام

---

(١٦٩) ابن الصغير ، ص ٢٤ .
(١٧٠) ابن الصغير ، ص ٢٤ .
(١٧١) ابن الصغير ، ص ٢٥ .
(١٧٢) ابن الصغير ، ص ٢٥ - ٢٦ .

الحفان (١٧٣) • وفى ازدهار تاهرت على أيام افلح يضيف ابن الصغير : « وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات واتته الرفاق (التجار) والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات » (١٧٤) •

قصور تاهرت :

هذا ، كما تنافس الناس فى البنيان داخل العاصمة وخارجها ، فبنوا القصور وعمروا الضياع وأجروا خلالها الانهار • ومن اشهر المبانى التى أقيمت فى أرباض تاهرت قصر عبد الواحد الذى كان مشهورا على أيام ابن الصغير ، وكذلك القصران اللذان عرفا باسم بانياهما : أبان وحمويه • وكان سكان هذين القصرين على قدر طيب من الرفاهية وسهولة الحياة بفضل عناية صاحبيهما بهما ، كما سمع ابن الصغير من بعض شهود العيان • فعندما كان ابان وحمويه يذهبان لزيارة القصرين ، كان أهلها يستقبلونهما فى شرفات منازلهم ، وعليهم الثياب الملونة ، من : أحمر وأصفر ، كأنهم البدور على الجدران (١٧٥) •

بوادى تاهرت وعناصر السكان :

وبفضل سياسة أفلح الرشيدة ورجال دولته المجتهدين انتشرت القبائل حول تاهرت ، وعمرت العمائر ، وكثرت الاموال بأيديهم ، فى الحواضر والبوادى •

ويفهم من رواية ابن الصغير ان عناصر سكان اقليم تاهرت النشطة كانوا من الفرس الذين ابتنوا القصور ، ومن نفوسة الذين ابتنوا العدوة ، ومن الجند القادمين من أفريقية الذين ابتنوا المدينة التى كانت عامرة عندما كان ابن الصغير يدون مذكراته هذه (١٧٦) •

تنظيم تاهرت على عهد افلح :

والظاهر أن الفرس كانت لهم ، على عهد افلح ، مكانة ممتازة فى تاهرت حتى أن بعض الكتاب سمى امامة تاهرت الاباضية بالدولة الفارسية • وفى

---

(١٧٣) ابن الصغير ، ص ٣٦ •
(١٧٤) ابن الصغير ، ص ٣٦ •
(١٧٥) ابن الصغير ، ص ٣٦ •
(١٧٦) ابن الصغير ، ص ٣٦ ـ ٢٧ •

ذلك يروى ابن الصغير ، مما سمعه ، انه كان للعجم (الفرس) مقدم يقال له « ابن وردة » ، وأنه كان قد ابتنى سوقا عرف باسمه ، « فكان صاحب شرطة أفلح اذا تخلل المدينة لانتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة »(١٧٧) • أما عن النفوسيين فلم تكن بلادهم تمثل فقط مركز الثقل الشرقي من الامامة الرستمية فيما وراء بلاد الأعالية ، بل كانوا هم أنفسهم يمثلون عصب الدولة في تاهرت نفسها : « فكانت نفوسة تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال ، وانكار المنكر في الأسواق ، والاحتساب على الفساق »(١٧٨) • أما الاجناد من بطانة السلطان فكانوا من اهل افريقية ، كما سبقت الاشارة ، وكان قوادهم ، كما يتضح من الرواية ، من أولاد أفلح وحشمه (١٧٩) •

هكذا آزدهرت أحوال تاهرت على عهد أفلح بن عبد الوهاب وأخذت شكل العاصمة العالمية بفضل تنوع سكانها من الفرس والنفوسيين والأفارقة• ولقد عم الرخاء القبائل المنتشرة حول المدينة ، بفضل ما اكتسبوه من الأموال وما اقتنوه من العبيد والخيول الى أن نالهم من الكبر ما نال أهل المدينة : « حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدى عليه فتزيل ملكه » (١٨٠) وهكذا رأى أفلح في أواخر سنوات امامته أن يتبع بين القبائل سياسة « فرق تسد » ، وهذا ما سنعود اليه بعد استعراض الاحوال في بلاد نفوسة •

جبل نفوسه وحيز طرابلس :

خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة •

على عكس ابن الصغير الذى انفرد بقصة تاهرت على أيام أفلح ،خصص أبو زكريا ومن نقل عنه ، مثل : الدرجينى كل روايته على عهد أفلح لأحوال جبل نفوسه وحيز طرابلس ، حيث كان خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة ضد أفلح وواليه أبي عبيدة عبد الحميد الجناوى بعد أن رفض التعايش السلمى الذى اقترحه عليه هذا الأخير أيام الامام عبد الوهاب ،على أساس أن ينفرد

---

(١٧٧) انظر ابن الصغير ، ص ٢٧ ، الذى يضيف ان ابن وردة كان من وجوه العجم وأنه كانت قد بقيت منهم بقية على أيامه في مدينة ميجانة •

(١٧٨) ابن الصغير ، ص ٢٧ •

(١٧٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ •

(١٨٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ •

كل منهما بناحيته (١٨١) • فقد رفض خلف الاعتراف بالامام أفلح ، وانحاز بمن انضم اليه من الرجال الى موضع يعرف بـ « تيمتى »(١٨٢) ، وما يليها من المشرق ، وهو رافع راية العصيان ، غير مقر بامامة أفلح ولادان بطاعته •

الحرب بين خلف وأبى عبيدة عبد الحميد :

ومن تيمتى (تمتى) أخذ خلف يشن الغارات على رعايا الامام المقيمين فى حيز أبى عبيدة عبد الحميد ، ويستبيح أموالهم ويخرب ديارهم ويقتل رجالهم دون تمييز ، كما يقول كتاب الاباضية ، حتى أنه قتل خطأ فى بعض الاحيان بعض أولئك الذين كانوا قد دانوا له بالطاعة ، وهو يحسب أنهم من رعية أبى عبيدة عبد الحميد (١٨٣) • وهكذا عظمت شوكة خلف الذى استخدم الترغيب أيضا الى جانب الترهيب ، فاستمال الرجال بعطاياه من الاقطاعات والأموال ، وصارت اليه الخيل والى اهل بيته ومواليه ومماليكه ، وساعده على ذلك أن ما كان تحت حوزته من الأرض كان خصيبا بينما كانت أرض أبى عبيدة جدبة (١٨٤) •

وكتب عبد الحميد الى الامام أفلح يستشيره فى أمر الخبيث بن الطيب، كما تقول رواية الدرجينى ، ويستأذنه فى الدفاع ، ولكن الامام كتب اليه بمثل ما كان قد كتب به والده من استخدام اللين والمداراة (١٨٥) • واستمر خلف فى أعمال العدوانية ضد رعية عبد الحميد فبعث بسرية من اربعمائة رجل نهبت قرية تعرف بـ « تسمات درف » فأخذ رجاله ما قدروا عليه من أموالها، وفكوا ما قدروا عليه من الجمال بعد أن كان قد أخذ أكثر الخيل ،كما قتلوا عددا من أهل القرية • وأصابوا عشرة أنفس من أصحاب أبى عبيدة عبد الحميد (١٨٦) • وتقول الرواية الاباضية أن عبد الحميد الذى كان واقفا

---

(١٨١) أنظر فيما سبق ، ص ٣٣٧ •

(١٨٢) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ ـ ب حيث الكلمة تمتى ، وقارن الدرجينى الذى اخذنا بكتابته ، المخطوط ، ص ٣٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، الشماخى ، ص ١٨٣ •

(١٨٣) أنظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ ـ ب ، الدرجينى المخطوط ، ص ٣٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، الشماخى ، ص ١٨٣ •

(١٨٤) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٧ ـ أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ ـ ب ص ٣٣ ـ أ (المطبوع ، ص ٧٢ ـ ٧٣) •

(١٨٥) الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وما سبق ، ص ٣٣٧ •

(١٨٦) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٧ ـ أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٣ ـ أ (حيث يسمى القرية ايدوف) والمطبوع ، ص ٧٣ (حيث تسمى القرية ويدوف ، وحيث : وقتلوا ما قدروا عليه من الرجال بدلا وفكوا ••• الجمال) •

على رأس عسكره ببعد من الجبل كان قد منع أصحابه – بناء على تعليمات الامام أفلح – من التعرض لرجال خلف (١٨٧) ، ولكنه لما استبان له بعيهم أمر رجاله (المسلمين) بمنابذتهم ، فهزموهم وقتلوا منهم كثيرا ، ولكن عبد الحميد منع عسكره من اتباعهم • وبذلك عاد كل من خلف وعبد الحميد الى موضعه : الأول الى تيمتى والثاني الى موطنه وكذلك أصحابه (١٨٨) •

معركة تعادل غزوة بدر :

وعاد عبد الحميد الى مداراة خلف فأرسل اليه يطلب منه السلام على أن يكون كل منهما فى حيزه ، ولكن خلفا أبى من ذلك واستمر فى شن الغارات على أهل طاعة أبى عبيدة وإعداد العدة لاستئصالهم • وهكذا عندما اجتمع الى خلف عدد كبير من الرجال خرج لملاقاة عبد الحميد فى معركة فاصلة ، وذلك بعد سنة من لقاء « قسمات درف » • ومع أن عبد الحميد خرج الى هذا اللقاء فى عدد قليل من أصحابه « عددهم هو عدد أصحاب بدر » أى ٣١٣ رجلا أو سبعمائة بينما كان خلف فى ٤ (أربعة) آلاف فارس ، فانه كان مطمئنا الى أن رجاله كانوا من أهل البصائر الذين يموتون على ما أبصروا ، وهذا مالم يشاطره اياه خلف (١٨٩) •

المناظرة قبل القتال :

وذلك أنه قبل القتال بدأت مناظرة بين الفريقين حاول كل منهما فيها أن يثبت صحة موقفه ، فلقد أرسل خلف الى أبى عبيدة رسولين طلبا منه خلع الامام أفلح واثبات ولايته هو ، وكانت الحجة فى ذلك أن حيز جبل نفوسة منقطع عن تاهرت • ويعرض أبو زكريا الأسانيد التى ارتكز عليها اتباع الامام أفلح فى تفنيد حجج خلف وأتباعه على الوجه الآتى : فقد بدأ أبو عبيدة عبد الحميد بأن سأل رسولى خلف عما اذا كان الامام عبدالوهاب ثم ابنه أفلح قد أحدثا أمرا يحـــل به خلع ولايتهما ؟ واحتج لذلك بطـــاعة

---

(١٨٧) الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٣ – أ (المطبوع ، ص ٧٣) ، الشماخى ، ص ١٨٣ •

(١٨٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ – أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٣ – أ (المطبوع ، ص ٧٣) •

(١٨٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ – ب ، حيث يسجل أن رجال أبى عبيدة كانوا ٣١٣ رجلا وأن رجال خلف كانوا اربعين الفا (وقارن الشماخى ، السير ص ١٨٦) • بينما يقول الدرجينى ان رجال عبد الحميد ربما بلغ سبعمائة رجلا وان رجال خلف كانوا ٤ آلاف فارس وهو ما رجحناه فأخذنا به (المخطوط ، ص ٣٣ ب ، المطبوع ، ص ٧٤) •

السمح اى والد حلف لعبد الوهاب · وعندما اعتل رسل خلف بالحورات وانقطاعها رد عليهم من جديد بطاعة السمح لعبد الوهاب رغم اختـــــلاف الحوزات ·

وعندما اجاب رسولا خلف بالخوف من اراقة الدماء ان لم يطع عبدالحميد خلفا ، سالهما : أيهما أعظم ، اراقة الدماء أو ترك القيام بدين الله ؟ ولما قالا له أن اراقة الدماء أعظم احتج عليهما باعمال السلف الصالح من رؤســاء الخوارج ، وقال لهما : لو صح ذلك لافترق أصحاب النهر (النهروان) وغيرهم ، وذعنوا لطاعــة الظلمة المسودة ، واصـحاب النخيلة ، وأبو بلال وأصحابه ، وعبد الله بن يحيى ، وأبو حمزة وأصحابهما ، من روادهم فى المشرق ، ثم أبو الخطاب ومن تبعه من المسلمين ، وأبو حاتم ومن تبعه من رؤسائهم فى المغرب · فكل أولئك لم يتركوا القيام بحق الله مخافة اهراق الدماء ، بل انهم حبذوا الجهاد فى سبيل الله وفضلوه · وأضاف عبد الحميد الى ذلك أنه اذا كانت أراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله تعالى ، فعلى ما يقتلون الناس ؟(١٩٠) ·

المباهلة بعد المناظرة :

وانتهت المناظرة فى يوم خميس دون الاتفاق ، وكان على السيف أن يقرر لمن يكون الحكم · فهكذا طلب أبو عبيدة عبد الحميد من الرسولين أن يرجعا الى صاحبهما ، وأن يكون الابتهال الى الله مرجعا ثانيا لهم قبل الالتجاء الى الحرب · وكان الابتهال ، كما قال لهما عبد الحميد ، يقتضى من الخصمين ــ خلف وعبد الحميد ــ الصيام يوم الجمعة ثم الطلوع مع أحد كبار أهل الثقة وهو أبو المنيب اسماعيل بن درار الغدامسى ، فكأنه الحكم ، على شعب الجبل : « فنبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وأن يفتح بيننا وبينكم ، وهو خير الفاتحين » (١٩١) ·

وأغلب الظن أن المباهلة المقترحة لم تتم اذ تشير الرواية مباشرة الى استعداد خلف للقاء أبى عبيدة وأمره لرجاله بالتهيؤ لهذا اللقاء ، وأن أباعبيدة

---

(١٩٠) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ ــ ب ، وقارن الدرجينى المخطوط ، ص ٣٣ ــ ب ، المطبوع ، ص ٧٥) ·

(١٩١) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ ــ ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ ــ أ ، المطبوع ، ص ٧٥) ·

أمر رجاله عندما اقتربوا من حصومهم ـ بناء على نصيحة من أحد اصحاب خلف ـ بالتراجع الى سفح الجبل ليكونوا في موقع استراتيجي جيد ، حيث يمكنهم ان ينالوا من عدوهم اذا كانت الجولة لهم ، وليصبحوا في مأمن منهم لو دارت الدائرة عليهم • وعندما تراجع أصحاب أبي عبيدة الى سفح الجبل ظن خلف أنهم جبنوا وخافوا فأمر رجاله بالهجوم عليهم •

وهنا قام أبو عبيدة بالابتهال الى الله ، وبعد أن توضأ وصلى ركعتين ـ فدعا الله وابتهل اليه أن يفل شوكتهم(١٩٢) • وذلك قبل أن يرغب أصحابه في القتال ، ويدعو لمن يموت تائبا من العاملين الصالحين منهم (١٩٣) •

معركة اجناون ، وهزيمة خلف (٢٢١ هـ/٨٣٦م) :

وهكذا تم اللقاء غير بعيد من أجناون بالجبل ، كما يقول الشماخي (١٩٤)، عشية الخميس ١٣ من رجب عام ٢٢١ هـ/٤ يولية ٨٣٦ م ، وأصحاب أبي عبيدة يقاتلون للدفاع في سبيل الله ـ دفاع أهل البغي • واستهل القتال الشديد الذي أبلى فيه العباس بن أيوب بن العباس بلاء حسنا . فكان يكشف خيل خلف يمينا وشمالا ، بانهزام أهل البغي من أصحاب خلف هزيمة منكرة ، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة • ورغم نفي الخلفيين من النكار فقد أمر أبو عبيـــدة عبد الحميد رجاله بالا « يتبعوا مدبرهم ولا يجهزوا على جريحهم ، وأحسن السيرة فيهم (١٩٥) •

---

(١٩٢) ابو زكريا المخطوط ، ص ٢١ ـ ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ ـ أ (المطبوع ، ص ٧٥) •

(١٩٣) الشماخي ، السير ، ص ١٨١ : حيث يقول انه دعا بالجنة لمن مات تائبا « الا من كان على فراش حرام او قتل يد ، أو غصب مالا » •

(١٩٤) السير ، ص ١٨٩ •

(١٩٥) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ ـ ب ، حيث تقول الرواية المنقبية ان العباس ابن أيوب ضرب رجلا فطار رأسه ، فقال العباس للرأس : « الى النار » ، فقال له الرأس مجيبا وبئس المصير » • هذا ، كما تشير الرواية الى ان الرجل من اصحاب أبي عبيدة كان يرمي بالمزراق فيخرج من ظهر خصمه ويركز خلفه • وقارن الدرجيني ، المخطوط ص ٣٤ ـ أ (المطبوع ، ص ٧٦) •

خلف يهجر خصومه :

وهكذا عاد خلف مهزوما الى موضعه في تيمتى ، ولكنه بدلا من أن يتعظ من درس الهزيمة تمادى فى أعماله العدوانية ضد أتباع عبد الحميد وأفلح • فتقول رواية أبى زكريا أنه أخرج من اقليم تيمتى من كان هناك من نفوسه وغيرهم ممن لم يكونوا متعاطفين معه ، « وأجل لهم ثلاثة أيام ، فمن وجد بعد ذلك فمهدور دمه وماله » ، لم يفرق فى ذلك بين اليتامى والمساكين والأرامل ومن ليس له ذنب » ، ممن أخرجوا على كره منهم • وصار هؤلاء يتوافدون على أبى عبيدة ويعلنون التوبة ويرجعون عن خلف ، الذى وهن بعد ذلك « حتى مات فى زيفه وغيه » ، وحتى ان ابنه اضطر الى الانحياز بأعوانه فيما بعد الى جزيرة جربة (١٩٦) • وبذلك انتهت قصة الافتراق الثانى ، وهو أفتراق الخلفية ، فى امامة تاهرت الرستمية ، وتمكنت امامة أفلح الذى « ألقا بيده يمينا وشمالا ، وتمكن فى امامته واطردت له الأمور واستقامت له الأحوال » • أما أبو عبيدة عبد الحميد فقد ظل ملازما الطاعة الى أن ادركته منيته ، فاستعمل الامام أفلح مكانه ، على نفوسة ، العباس بن أيوب بن العباس الذى أحسن السيرة على سبيل أصحابه الى أن توفى (١٩٧) ، وكانت وفاته ايذانا بالانشقاق الثالث بين أباضية تاهرت •

النفاثية ، والافتراق الثالث فى الاباضية على عهد الامام أفلح :

تسمية النفاثية :

اذا كانت نفوسة وجبلها قد مثلت مركز الثقل فى امامة تاهرت الرستمية، فان مدينة قنطرارة وحيزها كانت بمثابة مركز الثقل فى جبل نفوسة (١٩٨) • وبسبب التنافس على ولاية اقليم قنطرارة كان الانشقاق الثالث بين الاباضية

---

(١٩٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ ــ ب ، ٢٩ ــ أ ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ ــ أ (المطبوع ، ص ٧٦) : الذى يذكر ان حفيد خلف هو الذى انحاز بأعوان جده الى جربة حيث اقاموا بعيدين عن المشاركة فى امور الدولة الرستمية •

(١٩٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ ــ أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ ــ أ (المطبوع ، ص ٧٧) •

(١٩٨) انظر البارونى ، كتاب الأزهار الرياضية فى ائمة وملوك الاباضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ ــ ١٩٧ : حيث يقرر المؤلف ان قنطرارة هى المدينة المعروفة حاليا بـ « تيجى » وكانت ذات عمارة واسعة وثمار متنوعة ، وعيون جارية فى ذلك العهد ، وان لم يبق فيها الآن الا قليل من النخيل وبعض العيون التى لا ينتفع بها •

على عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب ، وهو الانشقاق الذى عرف أصحابه بالنفاثية نسبة الى نفاث ، وهو اسم الشهرة الذى عرف به قائد الحركة فرج ابن نصر النفوسى (١٩٩) • ومع أن البارونى يسجل اسمه فى شكل نفـات ويقول انه ربما كان من القرية المعروفة الآن بنماته ، والتى ربما كان أهلها المالكية من سلالته (٢٠٠) ، فالواضح من النصوص أن أصحاب الامام أفلح هم الذين أطلقوا اسم نفاث على فرج : كلقب تجريحى ، كما فعلوا مع النكار ، وهو الاسم الذى يكاد يعادل اسم الخوارج الذى أطلق على أسلافهم الأوائل • واذا صح ذلك فأغلب الظن ان اسم نفاث مشتق من الفعل نفث ينفث ، والمقصود به هو نفث سموم الخلاف والفرقة •

نفاث : فرج بن نصر النفوسى : تكوينه العلمى :

وكان فرج بن نصر النفوسى ، الذى اشتهر بنفاث ، من علماء الاباضية المشهورين بغزارة العلم والاجتهاد وصواب الرأى • اعترف له بذلك خصومه من شيوخ المذهب ، وسجلوا الحقائق والاساطير حول علمه ورجاحة عقله وقوة فكره • فقالوا انه أخذ العلم عن الامام افلح نفسه (٢٠١) الذى كان قد طهر ببلوغه قبل أن يبلغ الحلم • ونصوا على أنه لم يكن يكتفى بالعلم النظرى بل كان يسعى الى اثبات النظرية بالتجربة ، كما حدث عندما سألته امرأة عن بيضة طاهرة طبخت فى قدر مجوسى • « فدخل الدار فأخذ بيضة ونيلا ، وطبخها ، ونزع القشر فوجد النيل قد سود القشرة وتغير داخل البيضة حتى صار كلون النيل ، فعلم أن القشر لا يمنع النجس»(٢٠٢) •

هذا ، كما قيل انه سار الى المشرق ما بين الحجاز والعراق — لطلب العلم على شيوخ المذهب هناك — وأنه دخل بغداد ، حاضرة الخلافة ، وبلغ به الأمر الى حد أنه تحدى العلماء والفقهاء من بطانة أمير المؤمنين وناظرهم فى مجلسه، وأجاب على أسئلتهم ، « حتى عيوا فلم يقدروا له على شىء » ، وحتى« تعجب السلطان من علمه مع سخافته ونسبه وقلة أدبه ، وقال نعم العسل فى ظرف

---

(١٩٩) ابو زكريا ، ص ٢٩ — ب ، الدرجينى ، ص ٣٤ — أ (المطبوع ، ص ٧٧) •

(٢٠٠) الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ •

(٢٠١) ابو زكريا ، ص ٢٩ — أ (الدرجينى ، المطبوع ، ص ٧٨) •

(٢٠٢) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ — أ ، وقارن الدرجينى ص ٣٥ — ب (المطبوع ، ص ٧٩) •

سوء »(٢٠٣) •

ديوان جابر بن زيد :

وكانت فرصة انتهزها نفاث لكى يسمح له الخليفة بنسخ ديوان جابر ابن زيد (٢٠٤) الذى كان محصورا فى خزائن دار الخلافـــة لا ينتفع بـــه أحـــد (٢٠٥) •

اسباب دينية للخلاف :

وتشير الرواية الى أن نفاثا عندما وصل ومعه ديوان جابر الى طرابلس الغرب أخذ يضعف أهل مذهبه ، وساء ظنه بهم ، مما يؤكد أن رحلة المشرق قد كانت اكسبته من العلم مالم يكن معروفا لدى اهل المذهب فى المغرب ، وان ذلك كان من الأسباب الرئيسية للخلاف بينه وبين الامام أفلح • أما ما تقوله رواية ابى زكريا من أن نفاثا خاف أن يصير ديوان جابر الى أهل دعـــوة المسلمين ، فيزدادوا به علما ، وانه فضل أن يدفن الديوان فى بعض المواضع ،

---

(٢٠٣) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ ـ أ ، ٣٠ ـ ب • حيث تقول الرواية ان نفاثا كان جالسا فى حانوت بعض البغداديين عندما سمع المنادى ، فقال له صاحب الحانوت : ان من أجاب لأمير المؤمنين مسألة فله سؤاله والا قطعت رأسه ، فأسرع نفـــاث على التقـــدم للاجابة ، وانه عندما أدخله الأعوان على أمير المؤمنين الذى قربه وسأله عن أحواله وبلده ونسبه بدأ نفاث كلامه قائلا : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من البربر ، والبربر ليس معهم أدب فأريد أن أتكلم فى مجلسك بما بدى لى • وقارن الدرجينى ، ص ٣٦ ـ أ ، ٣٦ ـ ب (المطبوع ، ص ٨٠) •

(٢٠٤) عن جابر بن زيد الأزدى صاحب الديوان (٢١ هـ ـ ٩٦ هـ) الذى يعتبر من مؤسسى المذهب الاباضى وشيخ أبى عبيـــدة مسلم بن أبى كريمة ، انظـــر على يحيى معمر ، الاباضية فى موكب التاريخ ، ج ١ ص ١٤٣ ـ ١٥١ •

(٢٠٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ ـ ب ، ٣١ ـ أ • وتضيف الرواية ان وزراء الخليفة اعترضوا على السماح لنفاث بنسخ ديوان جابر وخروجه من دار الخلافة ، واستدلوا بذلك على علم نفاث وعقله وما سيصير اليه بعد أن ينسخ ديوان جابر ، وانهم فكروا فى حيلة تمنع من ذلك فعرضوا على نفاث أن يستعير الديوان لليلة واحدة عندما يريد • وواجه نفاث المأزق بأن اختار أطول ليالى السنة ، وبذل المال بسخاء لعدد كبير من الوراقين ، من : نساخ ومجلدين وأمدهم بالورق والحبر الكثير حتى نجحوا فعلا فى نسخ ديوان جابر فى تلك الليلة الا كتابا واحدا من العشرة كتب ، أبى عليه السلطان أن ينسخه ، ولكنه سمح له أن يقرأه مرة واحدة بين يديه ، كانت كافية لان يحفظه نفاث عن ظهر قلب • وتضيف الرواية ان السلطان حاول أن يحتال على نفاث حتى لا يخرج بالديوان من بغداد عن طريق تعجيزه بالاجابة لعدد من المسائل ، ولكنهم لم يقدروا له على شىء ، ثم انه عرج على مكة قبل أن يأخذ طريق المغرب حتى يضللهم • وقارن الدرجينى ، ص ٣٦ ـ ب (المطبوع ، ص ٨١ ـ ٨٢) •

« وانه لم يعرف موضعه الى يومنا هذا » ، وهذا كله بغيا وحسدا (٢٠٦) ، فالمقصود به تأكيد أن رحلة المشرق كانت بعد الافتراق ، وهو الامر الذى يجافى المنطق السليم الذى يرجح أن الانشقاق كان بعد رحلة نفاث الى المشرق حيث تفقه فى المذهب ، ورأى أن ينشر اجتهاداته التى أشرنا اليها ٠

أسباب سياسية للخلاف :

ومع أن أبا زكريا يصح حياة نفاث العلمية الحافلة هذه عقب خلافه مع الامام أفلح ، الأمر الذى أدى الى ذلك الافتراق الثالث فى الاباضية بالمملكة الرستمية ، فالواضح أن أبا زكريا أراد بذلك ـ وهذا ما فعله أهل المذهب الذين نقلوا عنه ـ ان يجعل أساس الانشقاق الثالث سياسياً ، وان كان الافتراق قد أصبح مذهبيا ٠ فهو يجعل المنافسة على ولاية قنطرارة والحاح نفاث فى الوصول الى منصب الوالى هى السبب فى ذلك الانشقاق ٠ وفى ذلك ينص أن الامام أفلح كان قد استعمل على قنطـــرارة أبا يونس وسيم بن يونس النفوسى الذى أصلح ما كان يدور فى المنطقة الزراعية الغنية من افســـاد للزروع(٢٠٧) ، كما انه اشتد فى جمع الزكاة من مستحقى دفعها ، حيث أعلن أنه « لافرار من الصدقة » (٢٠٨) ٠

ولاية قنطرارة : منافسة بين نفاث وسعد بن وسيم :

وعندما توفى أبو يونس وسيم كان ابنه سعد يطلب العلم لدى الامام أفلح وبصحبته فرح بن نصر وهو نفاث ٠ وعندما نظر أفلح فيمن يستعمله على قنطرارة ، فاختبر الناس وميرهم ، « وجد سعد بن يونس لامور المسلمين أصلح، ولأمور الدين أحسن ، ولحدود الله أصلب » ٠ فكتب سجلاباستعماله ، ودفع السجل بعد ختمه الى سعد ونفاث ، ولم يبين لهما من العامل ، وأمرهما الا يفضا السجل الا فى قنطرارة ٠ وخلال الطريق « استخف الشره وسوء الخلق وحب الرياسة » نفاثا ، « ففتش وراء الكتاب وفض خاتمه وقرأة » ٠ واستاء

---

(٢٠٦) أبو زكريا ،المخطوط ، ص ٣١ ـ أ ، ٣١ ـ ب ، وقارن الدرجينى ص ٣٧ ـ أ (المطبوع ، ص ٨٢) ٠

(٢٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ ـ أ : حيث ينص على أن سبب خروج أبى يونس الى قنطرارة أن الخدم كن يحتطبن من اجنة الناس فاذا جاء المطر فى المواضع التى احتطبن منها فتتهدم الجسور من ذلك ـ وقارن الدرجينى ، ص ٣٤ ـ ب ، ٣٥ ـ أ (المطبوع ، ص ٧٧) ٠

(٢٠٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ ـ أ ٠

نفاث لأن الامام أفلح فضل عليه سعد بن وسيم لولاية قنطرارة : « فاضمر في قلبه الغش والعداوة » • وهكذا فرغم أن سعدا ولي قنطرارة فأحسن السيرة ، وقام بحق الله ، وأقام له منبرا وجمعه ، بمعنى أنه كان يؤم صلاة الجمعة ويدعو للامام أفلح في الخطبة ، فان نفاثا أظهر الطعن في الامام (٢٠٩) •

نفاث يطعن في الامام ويثير خلافات فقهية ، ما بين التقليد والتحديث :

والى هنا ورواية أبي زكريا تسجل أن سبب خلاف نفاث سياسي دنيوي من أجل ولاية قنطرارة • ولكنه يأتي بعد ذلك بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مذهبية ترجع أن الخلاف كان دينيا من حيث الشكل على الأقل ، أو أنه صار هكذا • من ذلك ما ينسب الى نفاث من أنه قال في الامام أفلح: « أضاع أمور المسلمين ، ويزيد في الخلقة ويلبس الطرطور ، ويخرج الى الصيد ، ويطلي بالأسبر»(٢١٠) • مما يعني أن نفاثا كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة، وأنه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ به الامام أفلح ، من التجديد في الزى وتقليد خلفاء بغداد وعمالهم في لبس القلانس ، والعناية بالملبس والمظهر ، وانفاق بعض الوقت في الرياضة والقنص • ثم تتسلسل الخلافات المذهبية والفقهية في عدد من المسائل التي يظهر فيها اجتهاد نفاث ، والتي انكرت عليه حتى تسبب بسبب بعضها الى الكفر •

فمن المسائل التي ابتدعها نفاث : زعمه أن خطبة الجمعة بدعة • ومن أخطرها فتواه بأن أبناء أخي الرجل من الأب والأم (أي الشقيق) أولى بوراثته من أخيه من الأب فقط • ويعلق أبو زكريا على هذه الفتوى ، فيقول : ان نفاثا زاد بها ضلالا ، وان المشايخ قالوا : « لو لم يفت الا هذه المسئلة لكفربها »(٢١١) •

---

(٢٠٩) أبو زكريا ، ص ٢٩ — ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ — ا ، ٣٥ — ب (المطبوع ، ص ٧٨) •

(٢١٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ — ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ — ب (المطبوع ، ص ٧٨) ، وانظر البارونى ، الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٨ : حيث يشرح « ويزيد في الخلقة » بمعنى أنه عظيم العمامة كبير الوجه طويل اللحية جدا ، كما يقرأ « ويصلى بالإشبر » من الدرجيني ، بدلا من « ويطلي بالأشبر » التي تشبه : ويصبغ شعره بالحناء •

(٢١١) أبو زكريا للمخطوط ، ص ٣٩ — ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ — ب (المطبوع ، ص ٧٩) • ويذكر أبو زكريا بعد ذلك (ص ٣٠ — ا) بعض الروايات التي يدلل بها على ضلال نفاث ، فيقول ان ابن أخته رآه في المنام يحمل الشعير على رأسه ، وقد وضع عليه سنور وهو فوق رأسه ، ويفسر ذلك أن الشيطان استولى عليه وهو يجمع العلم —

وهكذا كانت شقة الخلاف المذهبي تتسع بين نفاث وأعوانه في جبل نفوسة وبين أصحاب الامام أفلح ، وعلى رأسهم سعد بن أبي يونس وسيم والى قنطرارة • واضطر سعد الى ترك مقر ولايته والخروج الى جبل نفوسة حيث مقام نفاث مخافة أن يضل الناس • وبنى سعد دارا بجبال نفاث . الذى كان بناه عظيما ، فأسرع لمعاونته في البناء • ويقول ابو زكريا أن سعدا خشى « ان يتوهم الناس أنه رضى عن نفاث فكان يقول له : الى متى نترك كفرك يانفاث ، فيقول له نفاث : معاذ الله من الكفر ياشيخ » • وكان سعد يقول لأخصائه في ذلك : « ليس جزاء من يساعدني الشتم انما تخوفت الفتنة وجراؤه اللحم والخبز (٢١٢) •

ويضيف الباروني في الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية عددا من مسائل الخلاف التي أثارها نفاث ، منها قوله ان الله هو الدهر الدائم وانكاره استعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعيه ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا • وقوله أن المضطر بالجوع لا يعطى بيع ماله اذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد مضرته تنجيته وقوله ان العقد لا يتحقق الا ببعض تجاوز البحر الى غير ذلك من المسائل التي يتحل فيها الخلاف (٢١٣)

هذا كما يسجل الباروني ثلاث رسائل منسوبه الى الامام أفلح في حق نفاث وفي الرد على بدعه ومسائله • والأولى منها موجهة الى والى نفوسة وهو عيال بن يوسف ، يدعوه فيه الى تنبيه رعيته الى ضلال نفاث ويحذر من ترشده على مجالس أهل الدعوة حتى يرجع الى سنة المسلمين وذلك قبل الرد على ضلالته (٢١٤) • والرسالة الثانية التي لا يعرف اسم من أرسلت اليه من العمال ، وكان يشكو للامام من أعمال نفاث تشير الى ضلال نفاث وبدعه ومخالفته شريعة السلف الصالح والائمة المرضيين ، وتدعو الى اقامة الحق عليه وهجره وأبعاده (أى البراءة منه) ان تمادى في خلافه • ثم تنص الرسالة على أن من

كما يذكر ان و ... أراد الدخول في مذهبه فلحقه في الطريق فسمعه ، وهو يقول : « ضللت واضللت يانفاث » • ويختم أبو زكريا بقوله وعلما انه اعطى في العلم منزلة عظيمة والفقه والفهم .. ولكنه افسد ذلك كله بالحسد وحب الأمور ممعني ان أسباب الخلاف المذهبي كانت شخصية سياسية •

(٢١٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ — ب ، ٣٠ — أ ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ — ب — ٣٦ — أ ، (المطبوع ، ص ٨٠) •

(٢١٣) الباروني ، الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ •

(٢١٤) الباروني ، الأزهار ، قسم ٢ ص ١٩٩ — ٢٠١ •

ينكر شيئا على عامل من العمال فعليه أن يكتب بذلك الى الامام ، كما تنص على منع الوثوب على العمال(٢١٥) أما الرسالة الثالثة فقد وجهها الامام أفلح الى نفاث نفسه يحذره فيها من ابتداع غير الحق ، ويدعوه الى العودة الى الرشد ويكرر خلع كل من خالف سيرة المسلمين وتقيه وتعجره واقصائه ، وكذلك البراءة منه ، مع اشارة خاصة الى من يزعم أن عمال الامام أساقفة ، وأنهم لاطاعة لهم في حال كتمانهم . وفي نهايتها يطلب من نفاث أن يعود الى حظيرة الجماعة ، وأن يترك المخالفة ، وما كان يطالب به من التصحيح ، الأمر الذي يقتضي أن يعلن أفلح توبته حتى يرضى عنه (٢١٦) .

ورغم ما يقوله الباروني ، من : أن نفاثا تاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها « مستندا الى أنه لم يرو أحد أنه ذكر الامام أفلح بسوء أو تكلف لاثارة فتنة أو سعى في فساد ، وذلك بعد رجوعه من المشرق ، اذ استقامت الأمور لأفلح(٢١٧)، فالمعروف هو أن النفاثية ، مثلها مثل : النكارية والخلفية ، ظلت من الفـرق المنشقة على المجتمع الاباضي الى ما بعد نهاية امامة تاهرت الرستمية . وفي ذلك يقول الدرجيني : انه : « لم يبق ببلادنا من يقول بقول نفاث ، وينصر حجته الا فريق من مطماطة ، فمنهم بالحمة ، ومنهم بالجبل ، واليه ينسبون ، فيقال لهم النفاثية »(٢١٨) .

ازدهار المملكة على عهد افلح ، وسياسة « فرق تسد » :

هكذا تكون الأمور قد استقرت للامام أفلح — رغم انشقاق الخلفية ثم النفاثية خلال ملكه الذى دام الى أكثر من نصف قرن (الى حوالى ٢٤٧ هـ/٨٦١م) حسب رواية كل من ابن الصغير وأبي زكريا . وخلال تلك المدة توطات أمور المملكة في تاهرت ، وأغتنت القبائل حول تاهرت وتحضرت ، وبدأ يظهر فيها الفساد والبطر ، مما جعل الامام يخشى على مملكته ، كما يقول ابن الصغير ، حتى انه بدأ يطبق مبدأ « فرق تسد » بين القبائل كي يلهيها بالصراع فيما بينها ، حتى يظل محتفظا لنفسه بموقف الحكم .

---

(٢١٥) الباروني ، ص ٢٠١ — ٢٠٤ .

(٢١٦) الباروني ، الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢١٧) الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ .

(٢١٨) الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٢ — حيث القراءة بالجبة بدلا من الحمة) .

وفى ذلك ينفرد ابن الصغير بالقول ان الامام افلح « أرش بين لواتة وزناتة من جهة ، « وما بين لواتة ومطماطة » من جهة أخرى ، كما أثار المعرات بين الجند وبين العجم حتى تنافرت النفوس وقامت الحروب ، « وصارت كل قبيلة ملاطفة لافلح خوفا من أن يعين صاحبتها عليها (٢١٩) ٠

اعتقال ولى العهد أبى اليقظان محمد فى بغداد الى وفاة المتوكل :

وبفضل تلك السياسة التى أدت الى اتفاق حماس القبائل العسكرى فيما بينها اطمأن أفلح الى ملكه حتى نهاية عهده ، « فاستلقى على ظهره أمنا ومد يديه ورجليه مطمئنا وعلم أنه قد كفى أمرهم » ٠ ولم ينغص عليه عيشه الا افتقاده لابنه الأكبر وولى عهده الأمير أبى اليقظان محمد الذى كان قد سار الى المشرق لأداء فريضة الحج ، وربما للتفقه أيضا على شيوخ المذهب هناك ٠ اذ تقول الرواية أن رسل بنى العباس الوافدين فى قافلة الحج المغربية كشفوه فى مكة وأخبروا انه جاء لبث الدعاة فى المشرق فحمل الى دار السلام بغداد . وذلك على عهد الخليفة العباسى « المتوكل »(٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) على ما يظن ٠ وحبس أبو اليقظان فى سجن المتوكل مكرما مع ابن الخليفة كما يقول ابن الصغير ، وظل فى الحبس الى مقتل المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١ م) حيث أخرجه الخليفة الجديد زميله فى السجن (٢٢٠) ، وهو المنتصر بن المتوكل (الذى لم يمكث فى الخلافة الا ستة أشهر فقط) الذى أحسن جائزته ، وأجرى عليه العطاء الى حين عودته الى تاهرت (٢٢١) ٠ وكانت عودة أبى اليقظان الى تاهرت بعد وفاة والده أفلح الذى « اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزونا الى أن وافته منيته (٢٢٢) ٠ وكانت امامة تاهرت قد آلت الى أخيه أبى

---

(٢١٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ ٠

(٢٢٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ — ٢٨ (حيث القراءة فى النص أنه سجن مع أخى الخليفة التى عدلناها الى ابن الخليفة) ٠

(٢٢١) أنظر ابن الصغير ، ص ٢٨ ٣٠ ٠ حيث تقول الرواية انه عندما سمح لابى اليقظان بالانصراف من بغداد طلب منه أهل الديوان أن يوصى لمن يقبض جاريته التى بلغت ١٢٠ درهما يوميا ، لئلا يذهب رسمه من دفاتر ديوان الخلافة ويمحو ذكره ٠ وعرض أبو اليقظان على خادمه النفوسى أن يقيم فى بغداد ويقبض جارية الـ ١٢٠ درهما يوميا ، ولكن الخادم رفض ، وطلب اعطاءها الى الخياط الذى كان يجلس عنده ويشاوره فى أمر أبى اليقظان وهو فى السجن ٠ ويضيف بن الصغير قائلا ٠ وكان النفوسى بعد ذلك بتاهرت اذا ذكر به لمر أو نزل به ضيق ، يقول لابى اليقظان ٠ لم أقبل منك ، ولو قبلت لكان العشرون والمائة درهم أعود على مما أنا فيه ٠

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٣٠ ٠

بكر الذي كان مميزاً بين أبناء أفلح بعد أبي اليقظان محمد •

ابو بكر بن افلح (امام تاهرت الرابع) : ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م/ ٢٦٠ هـ = ٨٧٣م)

اختياره : ما بين الرضى والكراهية :

رغم ما يقوله ابن الصغير من أنه عندما وافت أفلحا منيته : « اجتمعت الاباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح ، اذ فقدوا أبا اليقظان ، أرجح عندهم من ولده أبي بكر (٢٢٣) ، فالواضح من تكملة الرواية أن مسألة اجتماع الاباضية للمشاورة في اختيار الامام كانت شكلية ، وان زعماء نفوسة كان بيدهم مقاليد الأمور حقيقة ، وكانوا يولون من يقع اختيارهم عليه من أبناء الامام الراحل • هذا ما يفهم من نص ابن الصغير أيضا الذي يقول انه عندما قدم الناس أبا بكر ابن أفلح ، بعد وفاة والده « كان عبد العزيز بن الأوز ينادي باعلى صوته الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ، ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو أتقى وارضى ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته (٢٢٤) • ومن الممكن أن يكون المقصود بهذا الكلام هو المطالبة بتطبيق مبدأ الاختيار بشكل عام ، كما يمكن أن يكون احتجاجا خاصا بالنسبة لاختيار أبي بكر بمعرفة نفوسة (٢٢٥) •

وقد يرجح فكرة أن أبا بكر بن أفلح لم يكن الامام المنشود ، ما يذكره ابن الصغير من أنه « لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه » أو ما نضيفه من أنه « كان سمحا جوادا لين العريكة ويسامح أهل المروات ويشايع على مرواتهم ويحب الآداب والأشعار واخبار الماضين »(٢٢٦) • وهو الأمر المقبول بالنسبة للامامة الرستمية السائرة في طريق التطور والرقى مما لا يجعل أمر المقارنة بين صفات الائمة الاوائل وخلفائهم المتأخرين خير موازين المفاضلة بينهم • هذا ، ولو أن ما وقع من الأحداث في امامة أبي بكر لتدل فعلا على لين الامام وتساهله في أمور السياسة والحكم •

---

(٢٢٣) ابن الصغير ، ص ٣٠ •

(٢٢٤) ابن الصغير ، ص ٣١ •

(٢٢٥) وهذا ما أخذ به البارونى فى الأزهار الرياضية (قسم ٢ ص ٢٢٢) اذ فسر النص قائلا : « ولما تم أمر البيعة وأعلن للعامة انكر بعض الناس ذلك [illegible] أهل نفوسة ، وعايروا نفوسة باستقلالهم بهذا الأمر واختصاصهم به ثم سكتوا ... »

(٢٢٦) ابن الصغير ، ص ٣١ •

غلبة محمد بن عرفة على ابى بكر :

وأول ما تشير اليه النصوص في هذا المقام هو غلبة صهره محمد بن عرفه على أمور الدولة • والذى يفهم من تلك النصوص أن محمد بن عرفة هذا كان يتمتع بصفات عظيمة جعلته فى مصاف رجال تاهرت المرموقين ، منذ أيام الامام أفلح الذى أوفده بهدية من قبله على ملك السودان فحاز رضاه ، وأعجب بفروسيته وحسن خصاله وجماله • والظاهر أن الجمال الباهر لم يكن وحده أهم تلك الصفات ، فقد كان ابن عرفة يتمتع أيضا بالوسامة والجود والسماحة الى جانب الهيبة والفروسية وحسن الأفعال • ولم يكن من الغريب على الامام أبى بكر ، الذى عرف بسماحته ولين عريكته أن يقدر للجمال والوسامة قدرهما، فتزوج أخت ابن عرفة وكلف بها ، كما زوج هذا الأخير اخته هو فى المقابل •

وأصبح محمد بن عرفة أقرب المقربين الى الامام أبى بكر حتى أصبح أشبه بما نسميه الآن بالممثل الشخصى للرئيس أو الملك • ولا شك أن رابطة النسب ساعدت على تقوية أواصر القربى بين أبى بكر وابن عرفة ، حتى كان الأخير يستطيع الدخول على الامام فى أى وقت يشاء ، وفى أى مكان كان دون موعد سابق أو اذن ، حتى انتهى الأمر ، كما يقول ابن الصغير ، الى أن : « كانت الامارة بالاسم لابى بكر ، وبالحقيقة لمحمد بن عرفة (٢٢٧) •

عودة أبى اليقظان محمد بن افلح :

تاثره بالنظم البغدادية :

فى هذه الظروف عاد الى تاهرت أبو اليقظان محمد بن افلح عقب مقتل المتوكل (أى قبيل سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م) ، وبعد أن عركته تجربة السجن فى دار الخلافة ، وتقرب من ولى العهد المنتصر الذى آلت اليه الخلافة ، وصار على دراية بالنظم الادارية والعسكرية المتقدمة فى بغداد • من ذلك ما رآه من اجراء الرزق اليومى على أهل الوجاهة وأعيان الناس من ديوان الخلافة ، وامكان التوصية بهذا العطاء الجارى لمن يريده صاحب الشان • ومن ذلك ترتيب الجيش فى طبقات من النقباء يتلو بعضهم بعضا ، وكل رجل من الطبقة الأعلى

• (٢٢٧) اخبار الائمة الرستميين ، ص ٣١ ، ٣٢ • ويضيف الى ذلك ان محمد بن عرفة « كان اذا ركب من داره يريد ابا بكر مشى بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم ، وشرفت بذلك الرستمية وغارت به » •

يرأس عشرة رجال من الطبقة التي تليه حتى أن القواد العشرة الكبار يمكنهم جمع عشرة آلاف فارس خلال يوم واحد ، وهو الأمر الذي لم يكد أبو اليقظان يصدقه لولا أن عاينه بنفسه في صحن قصر الخلافة (٢٢٨) .

اعترافه بالأمر الواقع وامامة اخيه أبي بكر :

وهكذا ، رغم ما عرف به أبو اليقظان من انه كان أكثر أبناء أفلح أهلية للامامة ، ورغم التجارب التي حنكته في المشرق وفي دار السلام ، حتى قيل أن القوم هناك أطلقوه لانهم عرفوا أن ستكون له دولة في المغرب ، كما قيل انه بلغ النهاية والغاية في العلوم وخاصة علم النجامة (٢٢٩) ، فانه عندما رجع الى تاهرت وعرف بوفاة والده وولاية أخيه أبي بكر قبل الأمر الواقع ، فلم يغير شيئا ولم ينكره ، ولا أدعى امارة ولا نازع فيها أخاه ، بل أظهر القيام له والجيسة بين يديه (٢٣٠) .

أبو اليقظان نائبا للامام في الحكم او وزيرا :

ولما كان الامام أبو بكر يحب اللذات ويميل الى الشهوات ، كما يقول ابن الصغير فانه « استعان بأخيه أبي اليقظان محمد في الحكم فعهد اليه بالنظر في أمور تاهرت وأحوازها » وأظهر أبو اليقظان ما كان يتمتع به من الكفاية في شئون الادارة بالاضافة الى ما اكتسبه من أدب المشرق ، والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم (٢٣١) . وهكذا ، فبينما كان أبو بكر معتكفا في دار الامارة كان أبو اليقظان يجول في المدينة ، ويركب الى أعلى مسجد فيها ، حيث يجلس للنظر في شئون الناس وحوله العمال والقضاة وأصحاب الشرطة وينظر في ذلك نظرا شافيا ، ويجري الحق على الكبير والصغير حتى حمد له « الشراة » ذلك ، حسب رواية ابن الصغير ، وحمد له أخوه فعله .

وفي آخر النهار كان يأتي باب أخيه أبي بكر ، « فان وجده جالسا دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خبر وحكم » ، وان لقيه مشتغلا طلب من

---

(٢٢٨) ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢٢٩) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ - ب . وفي ذلك تقول الرواية انه احتال على علماء بغداد عندما أزمع العودة الى المغرب فدخل في قصعة ملأها بالماء حتى أنهم عندما حاولوا تتبعه وحسبوا الوقت الذي يخرج فيه من بغداد وجدوه في الماء فقالوا انه في البحر ، فرجعوا عنه .

(٢٣٠) ابن الصغير ، ص ٣٢ .

(٢٣١) ابن الصغير ، ص ٣٢ .

حجابه أن يبلغوه ما عليه المدينة من هدوء وسلام . ولم يزل أبو اليقظان مجتهداً في شغله ليلا ونهارا « حتى جلب قلوب الناس » (٢٣٢) .

الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان :

وبذلك آلت أمور الامام أبي بكر الى نائبيه القويين : محمد بن عرفة صهره ، ومحمد أبي اليقظان أخيه الأكبر ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بصراع خفي - في أول الأمر - بين الشخصيتين العارمتين ، قبل أن ينقلب الى نزاع علني تكون له آثاره السيئة في المملكة الرستمية . ويلقي ابن الصغير بتبعة انفجار الموقف المتأزم على صهر أبي بكر عندما يقول : ان محمد بن عرفة كان مشغولا بما كان فيه من « دوي وصيت عال ، لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ، ولا ينظر بهيبة له أو اجلال أو حذر منه » . هذا ، وبينما كان أبو اليقظان وعمومته وأخوته لا يصلون الى أبي بكر الا بعد الاستئذان ، كان محمد بن عرفة لا يحجبه عن الوصول اليـــه حاجب .

الرستميون يتربصون بابن عرفة ، ويحرضون الامام على التخلص منه :

وهكذا أخذ أبو اليقظان وقرابته يتربصون بمحمد بن عرفة ، ويترقبون له الفلتات الى أن نجحوا في اثارة أبي بكر عليه عندما خوفوه من سلطانه وما صار يتمتع به من هيبة بين الناس كادت تطمس هيبتهم للامام نفسه (٢٣٣) . وعندئذ أخذ أبو بكر يراقب صهره ، وما يتمتع به من حول وسلطة حتى تأكد له الأمر ، وهاله ما رأى من سلطان أبي عرفة فدبر مقتله غدرا عندما دعاه الى خلوة في بعض متنزهاته ، وأغرى أحد خدمه بقتل الرجل طعنا بالرمح بين كتفيه ، وهو يتهيأ لرفع يديه بالتكبير لأداء صلاة المغرب (٢٣٤) .

---

(٢٣٢) ابن الصغير ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢٣٣) ابن الصغير ، ص ٣٣ - وتضيف الرواية هنا انه قيل ان الذى سعى الى ابن عرفة وتكلم في حقه كان أبو اليقظان وحده . وانظر تلخيص الدرجيني ص ٧ ٢ـ ١ (المطبوع ، ص ٨٣) .

(٢٣٤) ابن الصغير ، ص ٣٤ - ٣٥ - هذا ويشير ابن الصغير بعد ذلك الى ان أبا بكر علم بعد فوات الأوان أن الحسد والبغي أداهم الى ما أداهم لا النصيحة . ولكنه ندم على ما كان قد عزم عليه ، ومحمد بن عرفة في ذلك كله أسلم الناس صدرا وأكبرهم له حبا .

أصداء مقتل ابن عرفة :

ورغم احكام الجريمة ومحاولة طمس معالمها فقد نجح أهل محمد بن عرفة وأصحابه في كشف خباياها ، فعرفوا الموضع الذي قتل فيه والمكان الجبلي البعيد الذي القيت الجثة فيه · وكان للنبأ أصداء محزنة بين العامة والخاصة والنساء والصبيان في تاهرت ممن كانوا يعرفون لمحمد بن عرفة أياديه البيضاء عليهم ، اذ « لحق الناس من الجزع مالم يلحقهم في قتيل قبله » · وهكذا ، فبمجرد أن نادى المنادى : « الا أن القتيل المظلوم يامركم بطلب ثأره ودمه » ، حتى هاجت الفتنة بتاهرت (٢٣٥) · وكان محرك الثورة رجلا يعرف بمحمود بن الوليد الذي انتهز الفرصة ، فصعد الى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ، « فضرب الطبل فبادر الناس اليه ، وأمرهم بأخذ السلاح والزحف الى أبي بكر »(٢٣٦) ·

وعندما بلغت أبا بكر أنباء ثورة العامة ضده بادر باستنفار أعوانه ، من السمحيين (٢٣٧) والرستميين وغيرهم · وهكذا تجمع الثوار من العامة في أعلى المدينة من ناحية الشرق بينما حشد أبو بكر أعوانه وشيعته في جهة الغرب ، واستعد كل فريق للحرب بالدروع تقي الصدور والبيض فوق الرؤس ، وكان لكل جماعة راياتها المميزة ترفرف فوق رؤسها · وزحف أبو بكر برجاله نحو الثوار وتم اللقاء الذي شارك فيه معظم أهل تاهرت قرب أحد المساجد · وكانت ملحمة مروعة صبر الناس فيها حتى تطايرت أيدي المقاتلة وأرجلهم وانقلعت هاماتهم ، وعندما تعبوا من الضرب تماسكوا بالايدي وتقاذفوا بالسباب (٢٣٨) ·

أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، ونفوسة :

ولما بلغ القتل والتعب غايته تطور الأمور بتدخل جماعة يسميها ابن الصغير بـ « العجم » ، والمقصود بهم الفرس من أعوان الرستميين الأوائل .

---

(٢٣٥) ابن الصغير ، ص ٣٥ — ٣٦ ·

(٢٣٦) ابن الصغير ، ص ٣٦ ·

(٢٣٧) القراءة في ابن الصغير (ص ٣٦) المسيحيين ، وهو الأمر الذي يتسبب فيه في مجتمع الاباضية بتاهرت والذي ادى اليه تسمية ذلك الموضع بـ « الكنيسة » على ما نظن ، أما السمحيين فهي قراءة البارونى (الرياض قسم ٢ ص ٢٣١) التي أخذنا بها نسبة الى ابي الخطاب السمح بن عبد الأعلى ، وهو الأمر المقبول ·

(٢٣٨) ابن الصغير ، ص ٣٦ — ٣٧ ·

ومن سي جلدتهم • كما يمكن أن يكون الفرس أيضا من سلالة الجند الأغلبي الذي هجر أفريقية الى تاهرت،وقد يكون النص على أنه في أثناء القتال بين العرب والعجم قبض العرب على مولى من موالى الأغلب يقال له حلف الخادم(٢٣٩) قرينة على ذلك •

ومع أن المفهوم من رواية ابن الصغير أن العجم أو الفرس أرادوا استغلال الموقف لمصلحتهم الخاصة ، فلا بأس من أن يكون هؤلاء العجم، الذين لم يدخلوا في الصراع الا بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين ، من المتعاطفين مع الأمير أبي اليقظان محمد وأعوانه ، اذ تقول الرواية : ان أبا اليقظان اعتزل الفريقين ، كما وعد نفوسة ، التي بقيت معتزلة عن الفريقين أيضا • ومن الواضح أن النفوسيين كانوا من أعوان أبي اليقظان ، هذا كما يشير النص الى أن العرب ، وهو الاسم الذي صار يطلق على المتحاربين الأوائل من أنصار أبي بكر وخصومه من العامة ، كانوا لا يثقون في حياد أبي اليقظان ويقولون : انه يعين عليهم في الباطن • وهذا ما أكدته الأحداث فيما بعد عندما انضم النفوسيون الى جانب العجم •

ومنذ تدخل العجم اندمج المتحاربون من عامة التاهرتيين وأعوان أبي بكر، الذي بقي في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم الناس به ، جبهة واحدة تصبح جبهة العرب والجند من انصار أبي بكر ، في مقابل جبهة العجم التي تعمل لمصلحتها الخاصة • وذلك قبل أن تظهر جبهة ثالثة هي جبهة نفوسه : أنصار أبي اليقظان الصرحاء •

شريط الأحداث :

ولقد دارت أحداث الصراع على الوجه التالي ، حسب رواية ابن الصغير :

العجم يعملون لأنفسهم :

اراد العجم انتهاز فرصة تعب المتقاتلين من العامة وأعوان أبي بكر من الجند ، فظنوا أنه يمكنهم القضاء على العرب والجند ومواليهم وأتباعهم واخراب ديارهم ، وبذلك يصفو لهم البلد والسلطان • وبدأ العجم في التمركز في بعض أطراف تاهرت استعدادا للهجوم على الناحية المعروفة بموقف الدوّاب ،

---

(٢٣٩) ابن الصغير ، ص ٣٧ •

ولكن لسوء حظهم فان أهل تلك الناحية كانوا يتوجسون منهم خيفة ، فاستعدوا لهم وأخذوا حذرهم . فما أن وافاهم العجم حتى بدروا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا . وكان غدر العجم بالجماعتين المتقاتلتين من الجند والعرب سببا في تلاحمهما : اذ تركوا قتال بعضهم وتعانقوا . ثم انهم قاموا بأجمعهم قومة رجل واحد ضد العجم ، فقتلوا كثيرا منهم ، كما أخذوا بعض الأسرى (٢٤٠) .

يوم حربة : وتحالف نفوسة مع العجم :

واستمرت الحرب بين أنصار أبي بكر من الجند والعرب وبين العجم ، وكان العرب يضغطون على العجم ، ويخرجونهم من بعض ديارهم في حال انتصارهم . وظل الحال على هذا المنوال الى أن وقعت المعركة المعروفة بـ « يوم حربة » في جوار درب النفوسيين في تاهرت . ففي هذا اليوم استمع العرب الى نصيحة خلف الخادم ، وهو المولى الأغلبي الذي كان يحارب في عداد العجم قبل أن يقع أسيرا في أيدي العرب فيعاون أنصار الامام أبي بكر بماله ونصائحه ، بأن لايكتفوا باخراج العجم من ديارهم ، بل أن يطلقوا النار في كل ما يغلبون عليه منها(٢٤١) . وهكذا فعندما استولى الجند والعرب على موضع العجم المجاور لدرب النفوسيين ، أضرموا النار فيه مما تسبب في الاضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك . وكان هذا الحادث سببا في تحالف نفوسة مع العجم ، بعد أن وقفوا موقف الحياد ، ولم يكن من الغريب أن يجذبوا الى جانبهم الأمير أبا اليقظان ، وكان النفوسيون أخلص حلفائه .

انتهاء الحياد : انشقاق الأسرة الرستمية : العرب في صف أبي بكر والعجم ونفوسة في صف أبي اليقظان :

وهكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة ولم يعد هناك متحاربون ومحايدون ، اذ كون المتحاربون الأوائل من الجند والعامة من العرب جبهة مؤيدة للامام أبي بكر ، بينما انضم المحايدون من العجم ونفوسة وبعض الرستمية وكونوا جبهة مؤيدة للامير أبي اليقظان . وبذلك انشقت الأسرة الرستمية على نفسها ودارت الحرب الأهلية باسم أفرادها .

وفي بداية الأمر حقق العجم ونفوسة انتصارات قوية على الجند والعرب

---

(٢٤٠) ابن الصغير ، ص ٣٧ .

(٢٤١) ابن الصغير ، ص ٣٧ .

في عدد من الوقائع ، مثل وقعة قنطرة الدمس ، وقنطرة سنيس حيث فزع صناديد العرب ، وانتهى الأمر بغلبة العجم ونفوسه على أكثر تاهرت بعدأن ردوا خصومهم الى أطرافها • وبعد ذلك دارت الدائرة على العجم ونفوسة منذ حقق الجند والعرب انتصارهم الكبير في الوقعة المعروفة « بيوم الرد المعوج » حيث : « ذكر أن نفوسة فروا بعضها على بعض »(٢٤٢) ، مما جعلهم يقررون فيما بعد أن يشدوا أرحلهم فيما بينهم بالحبال ، حتى يثبتوا فلا يفروا من أمكنتهم ولو قطعت السيوف هاماتهم(٢٤٣) •

تفوق العرب على العجم ونفوسة . وحرب الحصون :

واستمرت فتنة ابن عرفة « وأمور العرب والجند تقوى ، وأمور العجم ونفوسه تضعف » ، الى أن انتهى الأمر باجلائهم عن ديارهم التي اضرمت فيها النيران في أحوار تاهرت ، باستثناء موضع واحد في ناحية النهر الصغير المعروف بعدوة نفوسة حيث بنوا لهم حصنا قويا • وفي مقابل حصن عدوة نفوسة بنى العرب والجند حصناً لهم بأموال قدمها لهم من كان في حيزهم من التجار ، مثل : أبي محمد الصيرفي ، وابن الواسطي ، وغيرهما من وجوه التجار أصحاب الأموال • ويشير ابن الصغير الى أنه لم يكن يفصل بين الحصنين الا مقدار رمية سهم ، وأنه « ربما كان البناءون يبنون والنبل تصيبهم فيجعلون لهم ستاره ، حتى استدار الحصن وركبوا أبوابه وعلته أبرجته ، والحرب لا تفتر ليلا ولا نهاراً ، وحميت فيما بينهم حمية الجاهلية ، وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء »(٢٤٤) • ومن أبطال حصن عدوة نفوسة رجل من العجم يعرف بابن وردة كان مبارزا من الطراز الممتاز حتى طبقت شهرته الآفاق(٢٤٥) • وأغلب الظن أن ابن وردة هذا هو صاحب السوق في تاهرت الذي كان لا يدخله عمال الامام من المحتسبين ، كما سبقت الاشارة (٢٤٦) •

تفرق الأخوة المتناحرين في البلاد :

خروج أبي بكر من تاهرت ، ونزول أبي اليقظان في كنف لواتة :

وانتهت فتنة ابن عرفة بتفرق العجم ونفوسة والرستميين في أقاصي

---

(٢٤٢) ابن الصغير ، ص ٣٨
(٢٤٣) ابن الصغير ، ص ٣٨ •
(٢٤٤) ابن الصغير ، ص ٣٨ — ٣٩ •
(٢٤٥) ابن الصغير ، ص ٣٩ •
(٢٤٦) أنظر فيما سبق ، ص ٣٤٢ •

البلاد ، على الوجه الآتي : نزلت العجم بموضع يقال له « تنابغيلت » ، وهو على بعد مرحلتين من مدينة تاهرت اما الرستمية ومن انضاف اليهم ، فقد لحقوا بالأمير أبي اليقظان محمد بالموضع الذي يقال له « اسكدال » ، وهو بقبلة تاهرت على مسيرة يوم وأزيد قليلا في مجمع الاباضية ، هذا ، ونزلت نفوسة بقلعة مانعة تعرف الى اليوم بقلعة نفوسة ، وعندما نزل محمد بن مسالة تاهرت خرج منها الامام أبو بكر مع من خرج « لا حيا ولا ميتا » ، كما يقول النص (٢٤٧) ، مما يعني انه لم يعرف مآله ؟

ولم تزل أمور الناس في تاهرت هادئة الى ان وقعت الوحشة بين قبائل هوارة وقبائل لواتة ، وذلك ان قبائل لواتة كانت من بين سكان تاهرت عندما أتت هوارة وتسلطت على لواتة بمعونة أهل المدينة ، وعندئذ رأت لواتة أن ترحل عن تاهرت فخلت عنها ، ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة ، ومن هناك ارسلت الى أبي اليقظان تدعوه الى الاقامة معها ، فنزل في جوارهم على مسيرة أميال بموضع يقال له « تساونت » ، وهو الموضع الذي يخرج منه عيون نهر مينة الذي يجري من قبلة تاهرت حيث تنصب عليه الأرحاء .

نشاط أبي اليقظان في شراء الأعوان : والاعداد لغزو تاهرت على محمد بن مسالـــة :

وواضح من رواية ابن الصغير أن الأمير أبي اليقظان محمد أخـذ في استخدام بريق الذهب لجذب الأنصار ، بعد أن انتهت الفتنة التي شارك في تدبيرها بهاية لا ندري في مصلحة من كانت . فابو بكر ترك تاهرت الى حيث لا ندري ، وأبو اليقظان نزل بالقرب من لواتة . ومن مقره في جنوب تاهرت أخذ أبو اليقظان يستخدم ما كان معه من الأموال التي قدم بها من بغداد ، اذ كان كثير من أهل تاهرت متعاطفين معه ولم يكن يلزمهم للحركة واتخاذ جانبه صراحة الا التلويح لهم بالذهب والفضة ، وهذا ما حدث فعلا : « اذ صارت الدعوة والامامة كلها لابي اليقظان » (٢٤٨) . ولكن الأمر لم يصف تماما لأبي اليقظان اذ ظل لمحمد بن مسالة كثير من الأعوان في تاهرت ، يوالونه ولا يرون راي أبي اليقظان لأسباب لم يعلمها ابن الصغير . وبذلك عادت الحرب من جديد حول تاهرت اذ أعد أبو اليقظان العدة لغزو المدينة بعد أن أسقط

---

(٢٤٧) ابن الصغير ، ص ٣٩ .

(٢٤٨) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

الدعوة لأبي بكر - الذى لا نعرف ماذا صار اليه أمره - كما أنكر أمر محمد بن مسالة ، ودعا لنفسه بالامارة والامامة(٢٤٩) ٠

أبو اليقظان اماما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت :

واستمرت الحرب بين أبي اليقظان والتاهرتيين طوال سبع سنوات قاست منها المدينة كثيرا من الأهوال حتى حربت وعادت عجوزا شمطاء بعد أن فقدت بهجتها ونضارتها ٠ ولما طالت الحرب وامتنعت تاهرت على أبي اليقظان اتجه نحو نفوسة في جبلهم وطلب منهم العون وتجديد البيعة (٢٥٠) ٠

شروط الصلح :

واستجابت نفوسة لطلب أبي اليقظان فبعثوا اليه جموعا من رجالهم سار بهم لنزال تاهرت التي هاجمها من جهة الغرب ٠ وطلب النفوسيون انذار اخوانهم في تاهرت قبل قتالهم ، ودعوهم الى الرجوع الى الطاعة ، قبل أن ينزلوا معهم على حكم الله ، وهو حكم السيف ٠ ووافق خصوم أبي اليقظان في تاهرت على الصلح شريطة أن يؤمنهم أبو اليقظان ، وأن يسوغهم ما أصابوا من دم أو مال فلا يتبع أحدا منهم ٠ ووافق أبو اليقظان على هذا الشرط فتم عقد الصلح بين أهل تاهرت وعسكره ، وفي ذلك قالت نفوسة : « نحن انما جئنا لاصلاح بيضتنا ، وتأليف أمرنا وقوام ديننا ، ولم نأت بطلب علو في الأرض ولا فساد » (٢٥١) ٠

الأثر المشرقي في بلاط أبي اليقظان :

والظاهر أن رحلة أبي اليقظان الى المشرق واقامته في بغداد عاصمة الخلافة العباسية كان لها أثر عميق في نفوس الناس ٠ يظهر ذلك في احاطة كتاب الاباضية للامام الجديد بهالة من الجلال والعظمة التى لم يتسن لغيره التمتع بمثلها ، باستثناء نفاث بن نصر صاحب الانشقاق الثالث في الاباضية ٠ فابن الصغير ينص على أن مراسم الصلح بين أبي اليقظان وأهل تاهرت تمت في السرادق العظيم الذى كان أبو اليقظان قد أتى به من بغداد ، والذى ضربه في ظاهر تاهرت في الموضع المشرف على المدينة ، الذى عرف بقلعة

---

(٢٤٩) ابن الصغير ، ص ٤٠ ٠
(٢٥٠) ابن الصغير ، ص ٤٠ ٠
(٢٥١) ابن الصغير ، ص ٤٠ - ٤١ ٠

نفوسة . وكان هذا السرادق أول سرادق مضروب يراه أهل المنطقة ، اذ كانت لهم مضارب وقباب يقيمونها في مثل تلك المناسبة (٢٥٢) .

تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب :

وبتمام الصلح بدأت تاهرت تنفض عن نفسها غبار أيام الحرب والمجاعة ، فقام أهل المدينة وهدموا بقايا دار أبي اليقظان التي « كانت مزبلة وكدية من الكدا ، فكنسوها في يومهم فابتنوها في أسرع الايام » وبذلك تهيأ لأبي اليقظان النزول في المدينة حيث بدأ يمارس سلطانه ، كما نزلها الناس (٢٥٣) .

امامة أبي اليقظان محمد بن افلح في تاهرت (٢٦٠ هـ — ٢٨١ هـ/٨٧٣ م — ٨٩٤م) :

مع امامة أبي اليقظان تاخذ رواية ابن الصغير شكل المذكرات اليومية الخاصة ، أو طابع أحاديث المعاصر شاهد العيان . فمؤرخنا عاش شابا الايام الأخيرة من امارة أبي اليقظان في تاهرت ، وسمحت له الظروف بحضور مجلسه مرتين على الأقل (٢٥٤) . واذا كان ابن الصغير يسجل أن امامة أبي اليقظان دامت نحوا من ٤٠ (أربعين) سنة (٢٥٥) ، وان وفاته كانت في سنة ٢٨١هـ/٩٤ — ٨٩٥ م (٢٥٦) ، يكون وصول أبي اليقظان الى الامامة في نحو سنة ٢٤٠هـ/٩٥٤ م ، وهو الأمر غير المقبول ، اذ المفروض أن وصوله من بغداد كان بعد سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١م (٢٥٧) . وبناء على ذلك ، فاذا أخذنا سنة ٢٨١ هـ/٩٤ — ٨٩٥ م كتاريخ لوفاة أبي اليقظان — وهو الأمر المقبول — لا تطول امامة أبي اليقظان الى أكثر من ثلاثين سنة اذا أدخلنا في الحساب

---

(٢٥٢) ابن الصغير ، ص ٤١ .

(٢٥٣) ابن الصغير ، ص ٤١ . وقارن أبو زكريا (المخطوط ص ٣١ — ب) الذي يقول عن امامة أبي اليقظان : « انه اجتمع عليه عامة المسلمين فولوه على أنفسهم دون اختلاف » .

(٢٥٤) ابن الصغير ، ص ٤٤ : حيث يقول : وقد لحقت أنا بعض أيامه وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع .... ورأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز .

(٢٥٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ ، أبو زكريا ، ص ٣١ — ب ، الدرجيني ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٣) ، الشماخي ، ص ٢٢٢ .

(٢٥٦) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٥٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .

تلك الفترة التي استولى فيها على زمام الأمور الى جانب ابن عرفة ، أو الى وقت انفجار فتنة ابن عرفة وحرب السبع سنوات . أما اذا اعتبرنا امامة أبي اليقظان الحقيقية ، أي بعد الصلح مع أهل تاهرت ، فمن الواضح انها لا تطول الى أكثر من عشرين سنة ، وهذا ما حملنا نتخذ سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م كتاريخ لامامة أبي اليقظان الخالصة - دون منازع .

وأبو اليقظان الشيخ الذى كان يناهز التسعين من عمره عندما رآه ابن الصغير ، كان مربع القامة ، أبيض الرأس واللحية ، وكان اذا جلس حيمت هيبته على الحضور فلا ينطق أحد بين يديه الا أن يكون صاحب ظلامة (٢٥٨) .

دولة نفوسية في تاهرت :

ترتيب الدولة ، وتقدم نفوسة :

وكان أول ما بدأ به أبو اليقظان عندما استقر في تاهرت ، هو اقرار قواعد الدولة بانتخاب خير الأعوان والعمال . وكان أول شيء نظر فيه من أمور الناس في تاهرت ، هو البحث في أصلح من يلي وظيفة القضاء . وبعد أن شاور جماعة من أعيان المدينة استقر رأيه على أن يكون أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ قاضيا ، ثم انه ولى على بيت المال رجلا من نفوسة . أما في امامة الصلاة وخطبة الجمعة فقد قدم لها من ارتضاه هو نفسه (٢٥٩) ، مما يعني أن اختيار القاضي وصاحب بيت المال كان محددا في نفوسة أو مشروطا بموافقتها .

اهمية الحسبة :

وهذا ما يؤكده أن أبا اليقظان « أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، مما يعني ان النفوسيين كانوا أقرب أعوان الامام . ويشير ابن الصغير الى بعض اختصاصات هؤلاء المحتسبين من نفوسة ، كأن يروا قصابا ينفخ في شاة فيعاقبونه ، أو أن يروا دابة حملت فوق طاقتها فينزلون حملها ، ويأمرون صاحبها بالتخفيف عنها ، أو أن يروا

---

(٢٥٨) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٥٩) ابن الصغير ، ص ٤٦ .

قذرا في الطريق فيأمرون من حول الموضع أن يكنسه وينظفه (٣٦٠) ٠

وإلى جانب هذه الأعمال الخاصة بآداب الأسواق والطريق العام ، يشير ابن الصغير الى بعض أعمالهم المذهبية ، ومنها : انهم كانوا « لا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم ، ولا يكشفون عن حالة ولو رأوه رافعا يديه ، ماخلا المسجد الجامع : ان رأوا فيه من رفع يديه منعوه وزجروه ، فان عـــاد ضربوه » ٠ أما عن خطب الجمعة على منابرهم ، فيقول : إنها « خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ما خلا خطبة التحكيم »(٣٦١) التي كانـــوا ينكرونها ٠

قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية :

تلك كانت نظم الحكم في تاهرت على عهد ابي اليقظان ، وكانت أهم الخطط هي خطة القضاء التي ظل يشغلها محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ الذي عرف بحسن السيرةوبانه لا تأخذه في الله لومة لائم ، الى أن استعفى عندما نما اليه سوء سيرة الأمير أبي زكريا بن أبي اليقظان ، فسار الى الامام، « فرمى اليه خاتمة وقمطره ، فقال له : ول على قضائك من تريد »(٣٦٢) ٠

امام يعيد سيرة الراشدين من أئمة الرستميين :

-ولم تنقص هذه الحادثة التعسة التي أدت الى استقالة القاضي الحازم من تقدير ابن الصغير لأبي اليقظان – الذي لحق بعض ايامه وحضر مجلسه مرتين–

---

(٣٦٠) ابن الصغير ، ص ٤١ ٠

(٣٦١) ابن الصغير ، ص ٤٢ ٠

(٣٦٢) انظر ابن الصغير ، ص ٤٢ : حيث تشير الرواية الى جانب صبي الحاسدين الذين اعربوا عن سرورهم عندما قال القاضي لهم : « والله لا وليت له قضاء ابدا » ان ابن الصغير استطاع ان يعرف حقيقة القضية من سليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي وعونه ٠ ويتلخص الأمر في ان امرأة دقت باب القاضي ليلا (بعد العشاء الأخيرة) ومعها غلام صقلي يحمل لها سراجا ، واخبرت القاضي ان خدام الأمير ابي زكريا دخلوا عليها الساعة واخذوا ابنتها من بين يديها ، وان ابنها خاف متابعتهم خشية القتل من قبل بعض عمالهم او لص من لصوصهم ٠ وعندما افاق القاضي الذي سقط كالمغشي عليه ، امر مولاه سليمان بحمل سيف وحمل سراج بينما اخذ هو عصاه وسار الى – دار الزكاة حيث اشتبهت المرأة في ان يكون الجناة قد لجأوا اليها ٠ وهناك لاحظ القاضي ارتياح اهل الدار الذي سمح بتفتيشها ٠ ورغم انه لم يجد شيئا فان شكوكه زادت عندما سأل عن ابن الأمير ابي زكريا وعرف انه كان في الدار اثناء النهار ، وانه ركب فرسه ثم اتى الليل ٠

اذ يقول : انه « كان زاهدا ، ورعا ، ناسكا ، مسكينا (٢٦٣) . اما أبو زكريا فيقول عن أبي اليقظان أنه « بلغ في العدل والفضل غاية عظيمة » ، وان نفوسة كانت « لا تعدل بولايته الا ولاية جده عبد الرحمن » ، فقد كانت « نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله : طائفة يصلون ، وطائفة يقرأون القرآن ، وطائفة يتحدثون في فنون العلم (٢٦٤) .

مجلس أبي اليقظان ، في الجامع :

وفي مجلس أبي اليقظان ينص ابن الصغير على أنه « كان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبل الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها . وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان . ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن الصغير لشأنه في الفقه ، ولم يكن في ورع عيسى . وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس»(٢٦٥) .

والى جانب العلماء من نفوسة وهوارة ، « كان أخص الناس به رجل من العرب يعرفون بمحمود بن بكر »(٢٦٦) . ولكنه على عكس ما سبق أن أشار اليه ابن الصغير من أن خطب الرستميين على عهد ابي اليقظان كانت خطب علي بن أبي طالب ماخلا خطبة التحكيم (٢٦٧) ، فانه ينص هنا على أن محمود بن بكر « كان غاليا فيهم ، تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » . وكان محمود هذا « مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ، ويدافع عن دينهم ، ويرد على الفرق مقالاتهم ، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم(٢٦٨) .

تاهرت تعود مركزا علميا مرموقا : ازدهار علم الكلام :

والظاهر أن سوق العلم كانت قد نفقت في تاهرت بعد فترة الاضطراب التي عرفتها العاصمة الرستمية على عهد أبي بكر ؛ وفي السنوات الأولى

---

(٢٦٣) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٤) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ — ب ، الدرجيني ، ص ٣٧ — ا (المطبوع ، ص ٨٣) .

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٦٧ ، وفيما بعد ، ص ٣٨١ .

(٢٦٨) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

من عهد أبي اليقظان • فهذا ما يفهم من المناظرات التي كانت تقام بين الاباضية وخصومهم النكار الذين عرفوا بالمعتزلة ، والتي كانت تعقد بنهر مينة ، وكان يحضرها علماء الرستميين من مختلف القبائل ، وخاصة من هوارة • ومن بين متكلمي الرستميين يذكر ابن الصغير رجلا يقال له عبد الله بن اللمطي ، وكان خبيرا بفنون المنطق وعلم الكلام بدرجة أثارت اعجاب خصومه المتخصصين في هذا اللون من فنون الفلسفة (٣٦٩) الذي كان غريبا على الكثيرين من علماء المغرب في ذلك الحين (٢٧٠) •

أبو عبيدة الأعرج - نموذج للعالم الآمر بالمعروف :

وكان من علمائهم الذين رآهم ابن الصغير رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج: « كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع ، اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه » • وكان أبو عبيدة الأعرج معتزا بنفسه ، قليل الدخول على أبي اليقظان ، ولم يكن يجمعه واياه سوى المسجد الجامع • وكانت عادة الفقهاء والقراء وغيرهم الخروج الى أبي اليقظان عندما يضرب سرادقه لحدث يريده فيضربون أبنيتهم حول سرادقه خلا أبي عبيدة ، الذي لم يكن يدخل على أبي اليقظان الا من أجل أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، مثل : طلب اطلاق محبوس من جيرانه أخذه صاحب حرس الامام وسجنه لغير ذنب يستحق ذلك ، مما كان يثير «عجب الناس من صدقه وتركه التصنع ، واظهاره على لسانه ما أسر في قلبه (٢٧١) •

وكان أبو عبيدة الاعرج عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة • وكان مع ديانته حسن الادب والمروة ، حتى ان ابن الصغير المالكي : كان يترك دكانه الذي كان يبيع فيه ويشتري في حي الرمادنة ليقرأ عليه في اللغة والنحو • ولو أنه لم يستفد كثيرا من العالم الذي كان كثير الشغل ، اذ كان الناس يأتونه كثيرا يطلبونه للشهادة أكثر من مرة في الجلسة الواحدة ، فيأخذ

---

(٢٦٩) انظر ابن الصغير ، ص ٤٤ - ٤٥ : حيث يورد نماذج من الأسئلة التي دارت في مجلس المناظرة ، مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه ، وكان رد اللمطي لا • ومثل : هل تستطيع الانتقال من مكان انت فيه إلى مكان لست فيه ، وكان رد اللمطي : اذا شئت ، مما جعل سائله يقول له : « خرجت منها يابن اللمطي » •

(٢٧٠) وقارن مجلس زيادة الله الأغلبي للمناظرة ابن الأربس - الذي حضره الخطيب البغدادي أو اسحق الاسرائيل ، فيما سبق ، ص ١٧١ •

(٢٧١) ابن الصغير ، ص ٤٥ •

نعله وعصاه ويسير معهم ، دون أن ينسى الاستئذان من طالبه ، الذى كان قد لفت نظره الى أنه يترك مصالحه من أجل العلم (٢٧٢) . ويؤكد ابن الصغير : ان المغرب كله «كان مفتونا بهذا الرجل حتى ان من كان من الاباضية بسجلماسة يبعثون اليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء »(٢٧٣) .

مهدى خارجى — افتتان نفوسة بأبى اليقظان :

ويختتم ابن الصغير كلامه فى عهد ابى اليقظان بالحديث فى مناقب هذا الامام فهو يعود الى تأكيد افتتان قبائل نفوسة الجبل بأبى اليقظان ، ويبالغ فى ذلك الى حد القول : ان نفوسة «اقامته فى دينها ، وتحليلها وتحريمها، مثل ما أقامت النصارى عيسى بن مريم » ، وهو الامر الذى لم يسجله مؤرخو الرستميين من أهل المذهب . ويتبع ذلك بالقول : « وكان أكثرهم لا يحج الا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بإبنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه . وكان اذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه ، شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الفجر ، فاذا صلوا الفجر معه خرجوا بأنفسهم الى الأرض فناموا »(٢٧٤) .

وهكذا لم يكن من الغريب ان يكون النفوسيون عصب دولة أبى اليقظان، وان يطيعوه طاعة لم يطيعوا مثلها غيره من الائمة ، حتى انهم عندما كانوا يأتونه ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم ، كان يسمح باختيار من يريد ، ويأمر كاتبه بتدوين السجل المعتاد ويطويه ويختمه(يطبعه) ، ويطلب منهم الا يفتحوا السجل الا بالجبل ،دون أن يعلم أحدا من الناس من المقدم عليهم ، حتى من كبار اخصائه النفوسيين المقيمين معه فى تاهرت ، مثل : حمود بن بكر ، وعيسى بن فرناس (٢٧٥) .

وحق لنفوسة أن تفتتن بالامام الورع المتقشف الذى كان لا يسمح لخادمه بأن يقدم علفا لفرسه من بيت المال وقد جن الليل وعز الطلب ، فيقول له :

---

(٢٧٢) ابن الصغير ، ص ٤٦ .

(٢٧٣) ابن الصغير ، ص ٤٦ .

(٢٧٤) ابن الصغير ، ص ٤٦ — ٤٧ .

(٢٧٥) ابن الصغير ، ص ٤٧ : حيث يقول ان احد فقهائهم ، وهو عبد العزيز بن الاوز الذى — رغم علمه وفقهه — كان شكفيه اللسان خفيف العقل عزف عن اختياره ابو اليقظان لولاية جبل نفوسة بالفراسة ، وذلك بما بدا على وجه الأمام عندما ذكر له اسم افلح بن العباس (ابن يعقوب بن العباس) الذى وقع عليه الاختيار بين اسماء غيره من المرشحين .

« والله لاقام محمد (أبو اليقظان) ولا آكل ولا شرب حتى تمضى وترد فى بيت المال ما أخذته منه »(٢٧٦) .

نهاية ناسك : وفاة أبى اليقظان :

ولم يكن من الغريب اذن ان يموت الامام المتقشف فى سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م ، بعد أكثر من عشرين سنة من الامامة ، فلا يوجد له من العين فى تركته الا سبعة عشر دينارا (٢٧٧) . ولا بأس من أن تكون تلك الدنانير التى لم تبلغ العشرين هى قيمة الكتب التى وجدت عنده ، والتى كانت من تاليفه فى الرد على المخالفين ، كما يفهم من رواية أبى زكريا (٢٧٨) .

وخلف أبو اليقظان عددا من الأبناء الذكور ، منهم : يقظان ابنه الاكبر الذى كنى باسمه ، ويوسف وهو المكنى بأبى حاتم ، وأبو خالد ، وعبدالوهاب ، ووهب ، وغيرهم ممن يشير اليهم ابن الصغير دون أن يذكر اسمائهم . وكانت الامامة من بعده من نصيب أبى حاتم يوسف وهو ثانى أبنائه .

امام من طراز جديد : « نقيب » للعامة وأهل الحرف :

أبو حاتم يوسف بن محمد أبى اليقظان امام تاهرت الخامس (٢٨١ هـ - ٢٩٤ هـ/٨٩٤ - ٩٠٧م) :

يبرر ابن الصغير ولاية يوسف وتقدمه على أخيه الاكبر يقظان ، بأن هذا الأخير كان قد خرج لاداء فريضة الحج عندما توفى والده(٢٧٩) ، مما يعنى أنه لم يكن من الممكن ترك الامامة شاغرة لحين عودة يقظان . ولكن الروايات المكملة لذلك يمكن أن يفهم منها أن أباحاتم يوسف كان نشيطا طموحا يرنو بأبصاره الى الامارة منذ حياة والده . وهكذا نجد رواية تقول : « لما مات أبو اليقظان قامت العوام ، وأهل الحرف ومن لف لفهم ، فقدموا ابنه اباحاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم »(٢٨٠) . بينما تقول

---

(٢٧٦) ابن الصغير ، ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢٧٧) ابن الصغير ، ص ٤٩ .
(٢٧٨) انظر ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ ب - حيث يقول ان قيمتها بلغت ١٩ (تسعة عشر) دينارا .
(٢٧٩) ابن الصغير ، ص ٤٩ .
(٢٨٠) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

أخرى : ان أبا حاتم كان فتى شابا معتزا بنفسه ، يجمع الفتيان حوله فيطعمهم ويكسيهم ، وأن أمه « غزالة » التى كانت مسيطرة على أبى اليقظان كانت تدلله ، حتى انه انتهز فرصة غياب والده عن المصلى فى يوم عيد وسمح للعوام بأن يحملوه على درقة وهم ينادون بطاعته ، مما جعل ابو اليقظان يقول لامه : احذرى يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك باغيا»(٢٨١) . فكان أبا حاتم كان يشتاق الى الامارة ، ويعمل على الوصول اليها منذ صباه .

والظاهر ان ابا حاتم لم يكن شابا وصوليا ، بل كان جدا مجتهدا حتى ان والده كان يعهد اليه بالنيابة عنه فى الأمور العظيمة ، مثل : قيادة الجيوش . فعندما توفى أبو اليقظان لم يكن يقظان وحده غائبا فى الحج ، بل كان أبو حاتم يوسف أيضا خارج تاهرت يقود جيشا من وجوه زناتة « ليحوزوا قوافل قد اقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى ، قد خافوا من قبائل زناتة »(٢٨٢) . وبينما أبو حاتم فى مهمة القوافل تلك ، اذ وافته رسل من تاهرت تفيده بوفاة أبيه وعقد الامارة له . « وذلك ان اباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد الا لأبى حاتم » ، وكان أبو حاتم حينئذ على مسيرة يومين المدينة أو أكثر (٢٨٣) . وواضح من النص ان اباحاتم قوبل فى تاهرت بتظاهره شعبية عظيمة ، اذ : « لما وصل الى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر ، فاصعدوه المنبر وبايعوه وكبّروا حوله وحملوه على الأيدى والأعناق حتى أوصلوه الى داره ، ثم أرسلوا الى القبائل فبايعته »(٢٨٤) .

تراتيب جديدة تناسب شعبية الأمير ، واتجاهات غير اباضية فى علاقاته مع الآخرين :

وظهرت شعبية أبى حاتم التى اكتسبها أيام فتوته عندما حاول أهل بيته ووجوه الرستمية « ان يجعلوا له حجابا وهيبة ، وأبت العوام من ذلك ، وأرادت الدنو اليه فى كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل امارته »(٢٨٥) . وهذا الأمر يكون مقبولا فعلا اذا عرفنا ان عقد البيعة لابى حاتم تم بمعرفة

(٢٨١) ابن الصغير ، ص ٤٩ — ٥٠ .
(٢٨٢) ابن الصغير ، ص ٥٠ .
(٢٨٣) ابن الصغير ، ص ٥٠ .
(٢٨٤) ابن الصغير ، ص ٥٠ .
(٢٨٥) ابن الصغير ، ص ٥٠ .

رجلين من خاصيته من أهل الحرب والنجدة ، هما : محمد بن رباح ، ومحمد ابن حماد اللذان عرف عنهما من الجرأة ما بلغ حد ان اقترحا ذات يوم على أبى حاتم ، عندما شكا لهما من والده الذى نازعه فى بعض أشياء ، أن يخلى بينهما وبين والده فيقتلانه ويصير الامر إليه ، مما أثار الهلع في قلبه (٢٨٦)٠ وفي علاقاته القوية بغير أهل المذهب وبالعوام . يقول ابن الصغير أن بعض مشايخ تاهرت من غير الاباضية كانوا قد استولوا عليه ، مثل الفقيهين الكوفيين : أبى مسعود وأبى ذنون ، وكانا على مذاهب الكوفيين فى الفقه « علويين أو معتزلة ؟) ، ومثل علوان بن علوان الذى لم يكن من أهل الفقه ، ولكن كانت له رياسة فى البلد ، ومحبة عند العوام ٠ والغريب ان ابن الصغير المالكى هو الذى يشير الى أن تلك الجماعة كانت تهدف الى الكيد للاباضية ، ويطمعون به فى القضاء على مذهبهم ، وان يكن غدراً ٠ وهو الامر الذى لا نجد أصداء له عند كتابهم ، مع انه كان يمثل مرحلة تطور غريبة فى تاريخ تاهرت الرستمية ، تنذر باضمحلال المذهب الاباضى قبل ظهور الفاطميين ٠

انهيار حلف المتناقضات :

فالتجاء مذهب الكوفيين العراقى الى تاهرت ، كما يشير ابن الصغير ، بل وجود ابن الصغير نفسه وهو المالكى المذهب فى عاصمة الرستميين ، الى جانب تدخل العامة فى شئون الإمارة بتشجيع ابى حاتم ، كل ذلك يمثل قرائن مقبولة توضح أن المذهب الاباضى لم يعد كافيا للاستجابة الى متطلبات مجتمع تاهرت ، وانه كان يتآكل داخليا قبل ان يواجه المذهب الفاطمى آتيا من الخارج ، وانه لم يعد كافياً وحده ـ كما كان الحال من قبل ـ لكى يشد اركان الدولة الرستمية ٠ وهكذا تكون امارة أبى حاتم بن أبى اليقظان قد حملت بذور ضعفها فى ثنايا بدايتها ٠ وذلك ان محمد بن رباح ومحمد بن حماد ، اللذين كانا من خاصة ابى حاتم ، كما عرفا بالحرب والنجدة والجرأة الزائدة ، بدأ يسيئان السيرة ، ويهددان بعض مشايخ تاهرت ، مما أثار الأمير أبى حاتم فامر باخراجهما من المدينة ٠

فتنة القتال بتاهرت :

ولما كان لمحمد بن حماد منزل عظيم على مسافة أميال من تاهرت يعرف بـ « الثلث » فيه انواع الاشجار والمزارع والنخل ، وتجرى فيه الانهار بين

---

(٢٨٦) ابن الصغير ، ص ٥٦ ٠

القصور - فان الرجلين خرجا جميعا الى ذلك المنزل حيث عاشا ، كما يقول ابن الصغير « حي انعم عيش وارغده »(٢٨٧) . والظاهر أن الرجلين الفاتكين ساءهما ان يكون جزاءهما النفي من قبل أبي حاتم بعد ما قدماه اليه من الخدمات قبل ان يصل الي الامارة ، « فأخذا في الاتصال باتباعهما ، في المدينة : يشكوان كيف ينفيان من المدينة بلا جناية » - وتجمع تدبير الرجلين في العودة الى تاهرت » على رضا الراضي وسخط الساخط ، فما شعر أبو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففزع لذلك وارتاع ، وعلم أنها (تاهرت) ليست بدار قرار »(٢٨٨) .

أبو حاتم يلجأ الى حمى لواتة :

هكذا وجد أبو حاتم نفسه غريبا فى عاصمة مملكته ، فجمع أهل بيته وشاورهم في الأمر ، وتم الاتفاق على أن يخرج الرستمية من تاهرت لكى يعتصموا فى حصنهم الذى كانت به مواشيهم وعبيدهم ، وهو حصن يعرف بنماليت . وكان يقع فى طرف أرض لواتة حيث كان يمكنهم جمع لواتة وغيرها من القبائل ، وحينئذ يدعونه للخروج اليهم . وعندما خرجت الرستمية من تاهرت تبعهم العجم الساكنين بتاهرت فخرجوا الى حصنهم ، كما فعلت نفوسة ، بدورها ، مثل ذلك . ولم يلبث أبو حاتم فى المدينة الا أياما قليلة بعد ذلك ، ثم انه خرج في نحو مائة رجل من وجوه أعوانه من السمحيين ومن حماة البلد ، وعلى رأسهم مقدما كل جماعة ، وهما بكرى ابن يبيدى وبكر بن عبد الواحد ، وكانا فارسي الغرب فى ذلك الزمان (٢٨٩) .

محاولة استعادة تاهرت بالقوة :

وبذلك تمت القطيعة مرة أخرى بين تاهرت التى بقى فيها العامة ومشايخ البلد فى جمع عظيم وبين الرستميين ومن معهم من العجم ونفوسة ولواتة وغيرها من القبائل ، وأخذ كل من الطرفين يستعد للحرب المنتظرة . فلقد أسرع عامة تاهرت في بنيان حصنهم وترميم ما تصدع منه ، بينما اجتمعت لواتة على أبي حاتم فأعطاهم الأموال وحملهم على الخيل . كما وفدت عليه قبائل الصحراء ، لم يتخلف منهم الا أهل حصن تالغمت : لأنهم كانوا من

---

(٢٨٧) ابن الصغير ، ص ٥١ .

(٢٨٨) ابن الصغير ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٨٩) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

الصفرية • وعندما أتم أبو حاتم استعداده قسم قواته الى ثلاثة جيوش هاجم بها تاهرت من ثلاثة مواضع • هي

١ — القبلة حيث تولى القيادة بنفسه ، ومعه لواتة والرستمية ومن شايعهم •

٢ — المشرق حيث تقدم العجم ومعهم صنهاجه ومن شايعهم •

٣ — المغرب حيث احتشدت نفوسة مع طوائف من الناس •

وكانت نتيجة القتال الأول على الجبهات الثلاث في غير صالح أهل تاهرت الذين فقدوا بعض القتلى في مواجهة لواتة في القبلة ، وفي مواجهة العجم في المشرق ، بينما لم يصب لهم أحـــد من جهة المغــــرب حيث نفوسة (٢٩٠) •

ورغم أنه من الواضح أن القتال الذى وصف بالشدة لم يكن حاسما فان الأمور تطورت من جراء ذيوله في داخل تاهرت بشكل جعل أهل المدينـــة يفضلون الاتفاق مع أبي حاتم على مواصلتهم القتال الذى رأوه عقيما لا يؤدي الى الغرض منه • وذلك ان ابن رجل قتله العجم في ناحية المشرق ثار برجل من العجم من سكان المدينة فقتله غيلة أخذا بثار والده • وعندما علم التاهرتيون بذلك بادروا اليه ليقتلوه به ، فولى هاربا فلم يقدروا عليه ، ولم يعرفوا له مكانا • وثارت ثائرة أهل المدينة الذين اجتمعوا فقالوا : « نحن انما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، واذا كان يقتل بين ظهرانينا رجل بغير حق ، فامضوا بنا الى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وأشياعه ، ويحكم فيمن بقى كيف يشاء »(٢٩١) •

الانقسام في صفوف الرستميين : يعقوب بن أفلح امرا منافسا لأبي حاتم :

وهكذا فشل التاهرتيون ومشايخهم في اقامة الحكم المثالي الذى كانوا يحلمون به بعيدا عن تسلط الرستميين ، وأرسلوا بما استقر عليه رأيهم الى أبي حاتم الذى اشترط عليهم الا يدخل المدينة الا بعد أن يدفعوا اليه بمشايخهم والمسئولين عن اثارة تلك الفتنة • ورغم أن هذا الشرط كان سببا في تجدد

---

(٢٩٠) ابن الصغير ، ص ٥٢ •

(٢٩١) ابن الصغير ، ص ٥٢ — ٥٣ •

القتال الا أن وجوه أهل تاهرت رأوا الا قبل لهم بمواصلة القتال ضد تحالف القبائل والاباضية الذين كلبوا عليهم ، ورموهم عن قوس واحد • ثم ان المشايخ رأوا أن خير وسيلة لدفع خصومهم هي ان يبحثوا لأنفسهم عن رئيس من الرستميين ، ينحل مذاهب الاباضية » • ووقع اختيارهم فعلا على يعقوب ابن أفلح ، وكان على غير اتفاق مع ابن أخيه أبي حاتم حتى أنه رحل منذ ولايته عن تاهرت ، ونزل بزواغة « فلم يدخل للرستمية جمعا ، ولا أعان ابن أخيه برأي ولا غير ذلك »(٢٩٢) •

فشل الاسرة الرستمية وانشقاقها : الصراع بين الطالبين بالامامة :

ولما تم اجماع أهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح ارسلوا اليه وادخلوه المدينة حيث عقدوا له الولاية ، وبذلك تحقق لهم ما كانوا يأملون فيه من شرخ الوحدة الرستمية • فبمجرد اعلان امارة يعقوب بن أفلح انكسرت شوكة الاباضية ، كما يقرر ابن الصغير ، « ودخل عليه جماعة منهم ورجعت اليه جماعة من لواتة ، وبقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم » • وهكذا تكون الاسرة الرستمية قد انقسمت على نفسها في سبيل الحكم ، وكان ذلك يعني استمرار الحرب وان كانت قد ضعفت عن ذي قبل وانكسرت حدتها (٢٩٣) •

فشل ابي حاتم في دخول تاهرت :

ولكنه رغم ما أصاب أبا حاتم من الضعف فانه ظل متمتعا بولاء جمهور الاباضية : وكان يمكنه ان يناجز تاهرت القتال وأن يزحف عليها • وأمر يعقوب بن افلح باغلاق أبواب المدينة الا بابا واحدا ، وقف هو عليه بجمهور الناس للدفاع • ويصف ابن الصغير قتال الاخوة غير المرغوب فيه ، فيقول : ان الناس ظلوا يواجهون بعضهم بعضا الى ان حضرت صلاة الظهر ، فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك • وصلى الناس صلاتهم ثم اخذوا ينظرون الى بعضهم « فيسقط في أيديهم وتحولت نياتهم على المحاربة ، وتندموا على قدومهم (٢٩٤)» • وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يفشل أبو حاتم ومن معه من العجم عندما ارادوا انتهاز الفرصة ومفاجأة المدينة من جهة المشرق

---

(٢٩٢) ابن الصغير ، ص ٥٣ •
(٢٩٣) ابن الصغير ، ص ٥٣ •
(٢٩٤) ابن الصغير ، ص ٥٤ •

لعلهم يصيبوا غرة ، اذفتح من كان بناحية الباب الشرقى من المدينة الباب وخرجوا اليهم حملة واحدة ، وأرغموهم على الفرار منهزمين . وهنا انصرف القائد وانودين الذى كان أكبر معاونى أبى حاتم بعساكره ، وبذلك ضعفت الحرب ، وتطلع الناس الى السلم والعافية (٢٩٥) .

تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن افلح : قديس يبز فى سيرته سيرة الأئمة الأول :

وهكذا يكون انقسام الرستميين قد تكرس ، ويكون يعقوب بن افلح قد حقق حسن ظن تاهرت ومشايخها فيه . ويصف ابن الصغير يعقوب بن أفلح فيقول : انه كان بعيد الهمة نزيه النفس ، ماجس بيده دينارا ولا درهما ، فكأنه أعاد سيرة الامام الاول فى ورعه وتقشفه . فقد « كان اذا أتى وكيله بغلاته أمره بأن يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها ، واذا أراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده » . «وكان يعقوب اذا سافر ونزل بقوم لم يأكل لهم طعاما ، وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه فى اناء جديد ، فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا ولا يخرج لبراز » .

ويستمر ابن الصغير فى وصف مناقب يعقوب فكأنه يضعه فى مصاف كبار الأولياء : فقد كان وضوءه طاهرا فى الموضع الذى يكون فيه ، وكانت له أخلاق فى لباسه وركوبه يخرج عن طبع البشر . والى جانب ذلك فهو أحد الفرسان الشجعان ، « وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله ، لا قبله ولا بعده » ، وكان يضرب به المثل الى الوقت الذى كان يكتب فيه ابن الصغير فى أواخر ايام الرستميين (٢٩٦) .

اضطرابات تهلك الحرث والنسل لا ينهيها الا توسط زعيم مزاتى فى اقرار الهدنة :

والمهم أنه لا مناقب يعقوب بن افلح ولا فروسيته حققت ما كان يطمع فيه الناس من الأمن والعافية بعد أن طالت الحرب بينه وبين ابن أخيه « وقطعت السبل وفرت من أيدي الناس الحرث والنسل » ، الى أن قيض الله

(٢٩٥) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

(٢٩٦) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لهم أبا يعقوب المزاتى الذى نزل بجميع مزاته حول تاهرت ، « وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت اليه القبائل ، وقالوا : لو جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر الناس اليها ... ، وانتهى مسعى الزعيم المزاتى فى الهدنة التى اشتهاها الفريقان الى النجاح .

التحكيم :

وتم الاتفاق على أن يختار كل من الطرفين المتحاربين ممثلاله لعقدالهدنة: فقدم يعقوب بن أفلح لتمثيله الفقيه عبد الله بن اللمطى ، الذى عرفناه مناظرا راسخا فى فن الكلام والجدل ، بينما قدم أبو حاتم رجلين ، هما : منكود وابن أبى عياض اللواتيين .

وانتهى مؤتمر التحكيم الجديد بحكم أشبه بالحكم الشهير فى تاريخ الاسلام الذى أنكره سلف الاباضية الأوائل ، والذى ظل الرستميون ينكرونه حتى هذا الحين ، اذ تم عقد الهدنة على : « ان يرفعوا أيدى كل من أبى حاتم ويعقوب عن النظر أربعة أشهر ، ويمشى الناس الى الناس ، ويدخل بعضهم على بعض ، وتأمن الساحات . فتم العقد على ذلك وتطامع الناس العافية (٢٩٧) » .

عودة أبى حاتم يوسف الى تاهرت اميرا دون منافس ، بعصبيته الشعبية من غير الرستمية :

واحسن أبو حاتم استغلال فترة الهدنة لصالحه فاستمال وجوه أهل تاهرت وشبابهم بالوعود الحسنة وبالعطاء الجزيل ، وبذلك مال اصحاب الدنيا اليه ، ولم يبق الى جانب يعقوب الا الراغبين عن سفك الدماء وأكل الأموال ، بينما ظل ابو يعقوب المزاتى قائما بمساعيه الحميدة لاصلاح ذات البين (٢٩٨) ، وكان الطبيعى بعد ان تطور مجتمع تاهرت الى ما تطور اليه من عدم التمسك بتقاليد الرستميين الأوائل ان ترجح كفة ابى حاتم وما كان يغرى به من امور الدنيا وعرض الحياة . ففى يوم عيد من اعياد تاهرت اقبل اخوان من وجوه اهل تاهرت ، هما احمد ومحمد ابنا دبوس ، واعلنا ان من يريد العافية من اهل المدينة فعليه الصعود الى الحى المعروف باسم الكنيسة ،

---

(٢٩٧) ابن الصغير ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢٩٨) ابن الصغير ، ص ٥٥ .

حيث كانا يسكنان • واستجاب الناس للدعوة ، عدا يعقوب بن افلح وبعض المشايخ ممن كانوا يكرهون أبا حاتم وعلى رأسهم شيخ البلد ومقدمه ابن مسعود الذى حاول أن يثنى الرجلين عن غرضهما دون جدوى • وهكذا سار ابنا دبوس تحت جنح الليل يتبعهما كثير من الناس قاصدين قصر أبى حاتم فى نهر [illegible] ، بينما ركب يعقوب بن أفلح وشيعته خيولهم وخرجوا من المدينة نحو زواغه حيث كان يعيش يعقوب قبل دعوته الى تاهرت • وهكذا فتحت تاهرت أبوابها من جديد لأبى حاتم الذى دخلها فى صباح اليوم التالى وحده ، وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله ، وبادر اليه الناس جميعا (٢٩٩) •

اعادة تنظيم الحكومة فى تاهرت : حكم حازم يقضى على اوكار الفساد :

بمجرد دخول أبى حاتم العاصمة الرستمية جمع مشايخ البلد من الاباضية وغير الاباضية وشاورهم فى ترتيب الحكم والادارة ، من : القضاء وبيت المال والشرطة وغيرها • وطلب أهل العقد والحل منه أن يسيرفيهم بسيرة والده محمد الذى كانوا لا يعدلون بولايته الا ولاية جده الأكبر عبد الرحمن بن رستم • ففيما يتعلق بولاية القضاء أشادوا بقاضى والده وهو محمد بن عبد الله بن أبى الشيخ ، وطلبوا تعيين ابنه عبد الله الذى ليس دون والده فى الورع والعلم ، فولاه القضاء •وفى ادارة بيت المال ولى عبد الرحمن بن صواب النفوسى الذى اشاروا به • وفى الشرطة عرضوا عليه أحد رجلين ، وهما : زكار الذى عرف بجودة فكره وبالتفانى فى الخدمة ، أو ابراهيم بن مسكين المعروف بصلابته ، فى الحق ، فاستصوب ان يوليهما جميعا (٣٠٠) • وقام الرجلان بعملهما خير قيام ، فقضيا على أوكار الفساد الذى كان قد استشرى فى المدينة نتيجة الحروب والضيق ، من : انتشار المنكر والعبث بالغلمان • فحملا الناس على عمل المعروف والابتعاد عن المنكر ، حملا ، ولم يتورعا عن انزال العقوبة الصارمة بالمخالفين ، من : الضرب والسجن والقيد ، حتى قطعا كل ذلك فى أسرع من طرفة العين ، كما يقول ابن الصغير ، لم يفرقوا فى ذلك بين العظيم والصغير • هذا ، كما اهتما أيضا بالقضاء على السراق قطاع الطريق حتى أمنت السبل واطمأن المسافرون (٣٠١) •

وهكذا حسنت سيرة أبى حاتم فى ولايته الثانية لتاهرت ، ولم ينقم

---

(٢٩٩) ابن الصغير ، ص ٥٥ •

(٣٠٠) ابن الصغير ، ص ٥٦ •

(٣٠١) ابن الصغير ، ص ٥٦ - ٥٧ •

عليه الناس شيئا ، لولا ما نقموه عليه من أخذ بعض الناس بالشبهة وانزال عقوبة الضرب بالسوط في بعضهم على الظنة (٣٠٢) .

ازدهار مجالس العلم والمناظرة :

ونتيجة لمثل هذا الحكم الحازم وما أدى اليه من انتشار الأمن والعافية كان من الطبيعي أن ينصرف الناس الى أمور دينهم بعد أن اطمأنوا الى أمور دنياهم فعمرت المساجد ، واقيمت الجمعة والخطبة في الجامع . ولم ينكر الناس شيئا سوى ما انصرف اليه الفقهاء من المناقشات الفقهية — وهذا أمر طبيعي في أوقات الأمن والسلم — وما أقاموه فيما بينهم من المناظرات بين أعلام الفرق المختلفة ، مما كان يتسبب بعض المنازعات ، كما هو معروف . ولكن الكلف بالجدل العلمي والمناظرات الفقهية أدى الى أن أصبحت كل فرقة تسعى الى المزيد من العلم عن طريق معرفة آراء مخالفيها . وفي سبيل ذلك استخدم الجميع اللطف في المناقشة واكرام للمخالفين سواء كانوا من الاباضية أو من غيرهم ، دونما حقد أو تعصب (٣٠٣) . وهو الأمر الذي لم يكن معهودا من قبل .

مناظرات المؤرخ ابن الصغير :

وابن الصغير المالكي يشير الى ما كان يقوم بينه وبين رجل يسمى سليمان ويكنى بابي الربيع من وجوه الاباضية من هوارة ، وذلك في بعض مساجد الرهادنة حيث كان يقيم مؤرخنا ، من المناظرة في بعض المسائل المختلف عليها بين المالكية والحنفية (الحجازيين والعراقيين) وبين الاباضية . من ذلك ما يتمسك به أهل السنة من أن الرجل اذا زوج ابنته البكر ، وهي صغيرة ، وأدركت أن لا خيار لها في نفسها ، بينما يقولون ان الرجل اذا زوج أمته ، وعتقت فان لها الخيار . وهنا يلفت سليمان الهوارى الاباضي نظر ابن الصغير الى أنه لا فرق بين الأمة وبين الصغيرة (٣٠٤) .

---

(٣٠٢) ابن الصغير ، ص ٥٧ ، وقارن الشماخي ، ص ١٦٣ .

(٣٠٣) ابن الصغير ، ص ٥٧ .

(٣٠٤) ابن الصغير ، ص ٥٧ . وشرح ذلك : « لان الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها ، فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لابيها ، فلما ادركت صار الأمر اليها فلم منعتموها ما اجزتم للامة والمعنى واحد » . ويقول ابن الصغير انه ناقش هذه المسألة مع كثيرين وانه رد على ذلك بقوله : « انا انما اجزنا نكاح الصغار لان النبي صلعم تزوج عائشة بنت أبي بكر —

ومن موضوع المناظرة وما يحدث فيها من اختلافات فقهية ولغوية ، ينتقل ابن الصغير الى موضوع الخطبة على منابر الاباضية ، فينص على أن خطباءهم ربما حرفوا اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذى يريدونه . وهو يعدد خطباءهم الذين حضر لهم ، وأولهم ابن أبى ادريس ، وبعده : أحمد التيه، وأبو العباس بن فتخون ، وعثمان بن الصفار ثم أحمد بن منصور (٣٠٥) . ويذكر أن الثانى منهم وهو أحمد التيه حاول فى شرحه للكلمات القرآنية : « الرحمن على العرش استوى » ، أن يجعل ذلك بابا من الحلول على العرش (٣٠٦) .

ويؤكد ابن الصغير أن كل من رآهم من خطبائهم على منابرهم لا يستعملون الاخطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، باستثناء خطبة التحكيم . وكان الخطيب اذا فرغ من خطبته الاولى وقام الى الخطبة الثانية بدأها بالتحكيم (٣٠٧) اى : « لا حكم الا لله » ، وهو نفس شعار جماعة الخوارج من الشراة القديم عندما رفضوا حكم عمرو وأبى موسى - وهذا ما تشير اليه خطبة التحكيم التى ينقلها ، ابن الصغير ، ففيها : « فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالى أن تطلق فى وصفه آراء المتكلفين أو أن تحكم فى دينه أهواء المتقلدين ، بل جعل القرآن ماما للمتقين ، وهدى للمؤمنين .. وحكما بين المتخالفين » (٣٠٨) وكذلك ياتى بعد الحمد لله : « الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والاسلام ديننا ، والكعبة

= بنت سبع سنين وبنى بها وهى بنت تسع سنين » . ورفض الرجل ذلك وطلب منه أن يكلمه من القرآن او من باب النظر ، بعد أن أشار اليه أن الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته . ويستمر الجدل فيذكر كاتبنا انه ذكر من القرآن الآية التى تقول : « واللائى يئسن من المحيض من نسائكم (الى) .. واللائى لم يحضن » . فقال عجبا منك انا اسالك عن عقد النكاح وفسخه وانت تخبرنى عن عدة المويسات وعدة اللائى لم يحضن » وهنا افحم ابن الصغير مناظرة سليمان عندما شرح له كيف غاب عنه المراد [illegible] متعلق الطلاق ، والطلاق لا يكون من غير زواج ـ فسكت ولم يرد جوابا . هذا ولو ان شخصا آخر قال له : « واللائى لم يحضن » : المراد التى لم يحضن [illegible] الحيض ، ومن الكبائر لا الصغار [illegible] فكان رده : « هذا غلط فى اللغة » .

(٣٠٥) ابن الصغير ، ص ٥٩ .

(٣٠٦) ابن الصغير ، ص ٥٩ - ٦٠ . وربما يظهر ذلك الحلول [illegible] فيما يورده ابن الصغير بعد ذلك فى خطبة التحكيم ، وفيها : « الذى لم يزل بصفاته واسمائه ، لا يشتمل عليه زمان ولايحيط به مكان ، خلق الأماكن والأزمان ثم استوى الى السماء وهى دخان ... » .

(٣٠٧) ابن الصغير ، ص ٥٩ .

(٣٠٨) اخبار الائمة ، ص ٦٠ .

قبلتنا ، والقرآن امامنا ... لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام ، وخلافا لأهل البدع ... وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله : فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون » وفى الدعاء قبيل الختام يطلب الرحمة — بعد ذكر النبى وآله والصحابه والتابعين — للشراة ، كما يدعو بالصلاة على أبى بكر وعمر ، وأخيرا الدعاء بالصلاح للأمير يوسف بن محمد (أبو حاتم) (٣٠٩) .

والظاهر أن مجتمع تاهرت ظل فى تطور مستمر ، وهو الأمر الذى يحمد للاباضية الذين ظهروا ، على عكس ما كان يظن ، بمظهر التساهل والتسامح فى كثير من أمور الفقه والأحكام . فعندما ولى الخطابة رجل من الاباضية ، يقال له : أحمد بن منصور ، وسمعه ابن الصغير وهو يثنى بخطبة التحكيم ، أثار ذلك انتباهه حتى أنه لفت نظر الخطيب الى أن هذه لم تكن سنة أسلافه . ورد الخطيب على ملاحظة ابن الصغير بأن أحد زعماء الجماعة ، واسمه : عثمان بن أحمد بن يحيا هو الذى حمله عليها ، اذ كان الرجل مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطب الخطيب بها (خطبة التحكيم) لأنه استحسنها له (٣١٠) .

وبخطبة التحكيم تلك ينهى ابن الصغير كتابه فى سير الرستميين على أيام الأمير ابى حاتم يوسف بن أبى اليقظان ، ولا باس فى أن يكون ذلك حوالى سنة ٢٩٠ هـ/٩٠٢ — ٩٠٣ م ، اذ أن عدم وجود أى ذكر فى الكتاب لوقعة « مانو » التى تحطم فيها اباضية نفوسة أمام القوات الأغلبية ، قبل ذلك بسنوات ، لا تعنى بالضرورة أن تأليف ابن الصغير قد تم قبل تلك الوقعة (أى قبل ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م) . والحقيقة هى أن ابن الصغير لم يهتم الا بأحوال تاهرت بلده ، أما جبل نفوسة الذى كان يمثل الدعامة الرئيسية للامارة الرستمية، فكان موضوعا بعيدا عن اهتمامه وان كان له المعنيون به من مشاهير الكتاب النفوسيين .

أحوال جبل نفوسة على عهد أبى حاتم يوسف :

أبو منصور الياس بن منصور واليا :

والنفوسيون ، وعلى رأسهم أبى زكريا ، لم يهتموا فى تاريخهم لامامة

---

(٣٠٩) أخبار الأئمة ، ص ٦٢ .

(٣١٠) ابن الصغير ، ص ٥٩ . اما عن خطبة التحكيم فانظر ص ٥٩ — ٦٢ .

ابى حاتم يوسف بن أبى اليقظان الا بأحوال جبل نفوسة . فأبو زكريا الذى يقول عن يوسف انه مكث فى امامته ١٤ (أربعة عشرة) سنة ، يذكر : « أنه أطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد » ، ويتبع ذلك بالحديث فى سيرة أبى منصور الياس بن منصور والى جبل نفوسة على أيام أبى حاتم(٣١١). وهو واحد من أشهر الشخصيات النفوسية فى تاريخ امامة تاهرت الرستمية على وجه العموم . فلقد ولى أبو منصور جبل نفوسة على عهد كل من أفلح وأبى اليقظان ثم أبى حاتم يوسف (٣١٢) .

عمروس بن فتح النفوسى قاضيا :

وواضح من النصوص أنه رغم ما كان يتصف به أبو منصور الياس من الفضل ، حتى قيل إنه كان مستجاب الدعاء (٣١٣) ، فقد كان من أسباب شهرته وذيوع صيته بين كتاب الاباضية هو عهده بالقضاء الى عمروس بن فتح النفوسى ، الذى كان من الشخصيات العارمة التى عرفها جبل نفوسة بسبب : علمه وفضله وحذقه وفطنته وحضور حجته (٣١٤) . ففى علمه قيل انه كان عالما كبيرا له كتب فى الاصول والفقه (الفروع) ، وانه كان قد عزم على تأليف كتاب جامع يعالج فيه مسائل الفقه على أساس القواعد التشريعية الثلاثة المعروفة ، وهى : الكتاب والسنة والرأى ، ولكن أجله لم يمهله لكى يتم مشروعه هذا (٣١٥) .

وفى شدة عمروس فى الحق وعدم خوفه فى الله لومة لائم ، يذكر ابو زكريا من مناقبه أنه كان يطأ الرجل الذى يمسك عن الاجابة على أسئلته برجليه فى حضرة الوالى أبى منصور اليـــاس . وعندما لفت الياس نظره الى أنه عجل على الرجل ، لم يتردد فى أن يبين له الحجة فيما فعل ، بل أنه عرض استقالته من القضاء ان لم يقبل حكمه بالعقوبة العظمى ، وهى القتل ، فى ثلاثة : الطاعن فى دين المسلمين أى المعارضين للمذهب الاباضى ، من النكار

---

(٣١١) المخطوط ، ص ٣٢ — أ ، وقارن الدرجينى الذى يجعلها (١٢) (اثنى عشرة) سنة فقط ، المخطوط ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٣١٢) انظر الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٣١٣) ابو زكريا ، ص ٣٢ — أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٣١٤) ابو زكريا ، ص ٣٢ — ١ .

(٣١٥) ابو زكريا ، ص ٣٢ — أ ، الدرجينى ، ص ٣٧ — أ (المطبوع ، ص ٨٤) .

ومن نهج نهجهم » ، والمانع الحق ، والدال على عورات المسلمين (أهل المذهب) (٣١٦) ٠

الياس وعمروس رجلا الجبل :

وهكذا أكملت مناقب كل من الرجلين سجايا الآخر ، وعمل كل منهما على الرفع من شأن صاحبه : عمروس بعلمه وفطنته وشدته في الحق ، والياس بتقواه وورعه وشجاعته التي بلغت مبلغ الأسطورة ، مما ضمن لذريته استمرار الولاية والحكم في جبل نفوسة ٠ ففي الحروب كان أبو منصور اذا خرج في العسكر « ينطح العدو نطحة من غير صفوف » ، مما يذكر«بالحملة الخارجية » التي صارت مضرب المثل ٠ وفي الحرب كان يقود رجاله وهو راكب بغلة ليكون قدوة للعامة من رجاله للثبات في المعركة ، وعدم التفكير في الهزيمة أو الفرار (٣١٧) ، وهو الامر الذي بالغ فيه المتأخرون ، حتى جعلوه كرامة من الكرامات ٠ اذ ليست البغلة مما يركبه مقتحمو الحرب ، فقالوا ان نبال الأعداء كانت تتحاد عنه ، رغم أنه كان هدفا ثابتا قريب المنال ، وهو فوق بغلته (٣١٨) ٠

مطاردة حفيد خلف بن السمح :

ومن أهم الأعمال الحربية التي تذكر لأبي منصور الياس مطاردته بقايا الخلفية بقيادة حفيد خلف بن السمح في آخر ولاية الرستميين ٠ وكان الخلفية قد وهنوا بعد صراعهم مع أبي عبيدة عبد الحميد والي افلح على جبل نفوسة ، ولكن فلولهم ظلوا متشبثين بابن خلف ، أو حفيده ، الذى ظل متمسكا بمذهب أبيه (٣١٩) ٠ والرواية لا تشير الى أعمال عدائية قام بها الخلفية ضد أبي منصور أو رعيته ، بل تكتفي بالقول ان والي جبل نفوسة الشهير خرج على أيام أبي حاتم يوسف لطلب ولد خلف الذى لا تذكر لنا اسمه ، وان هذا الأخير هرب لاجئا لدى قبائل زواغة ، خارج طرابلس في ساحل جزيرة جربة ٠ والتف الزواغيون حول زعيم الخلفية ، وأجمعوا على أن

---

(٣١٦) ابو زكريا ، ص ٣٢ — أ ٠

(٣١٧) ابو زكريا ، ص ٣٢ — أ ٠

(٣١٨) الدرجيني ، ص ٣٧ — ب (المطبوع ، ص ٨٤) : حيث يقول أيضا انه كان فاضلا مستجاب الدعاء ذا كرامات ٠

(٣١٩) انظر فيما سبق ، ص ٣٤٧ ٠

يمنعوه من النفوسيين : اذ « كانوا على مذهب أبيه فسمعوا قوله واطاعوه وقبلوا دعوته (٣٢٠) » •

الوساطة ، وشروط الصلح :

وهكذا وصل أبو منصور الى حيز زواغة ، ووجد أعدادا كبيرة منهم محدقة بحفيد خلف • وقبل أن يبدأ القتال تدخل أحد زعماء بنى يوراسن (أو يهراسن) الذى يعرف بأبى سلامة لحقن الدماء ، وعرض على زواغة أن نقبل واحدا من ثلاثة حلول ، وجدها كفيلة بوأد الفتنة وهى فى مهدها :

١ - ان يترك الزواغيون من الخلفية البرية ، وأن يعبروا الى داخل جزيرة جربة حيث يمكنهم أن يجتمعوا باخوانهم فى المذهب هناك وان يمنعوا زعيمهم الخلفى ، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن حيز أبى منصور •

٢ - ب يرسلوا وفدا منهم الى الامام أبى حاتم يوسف يطلبون منه ان يولى عليهم واليا منهم ، وبذلك يخرجون عن طاعة نفوسة • فكان الاستقلال عن حكم النفوسيين كان مطلبا من مطالب الزواغيين •

٣ - ان يدفع الزواغيون زعيمهم الخلفى الى أبى سلامة اليوراسنى ينطلق به الى نفوسة ، وهو يضمن لهم أمنه وسلامته • وهو الحل الذى يعنى ان الزواغيين ربما كانوا قد تورطوا ، عن غير قصد ، مع حفيد خلف ، وانه يمكنهم الوفاق مع النفوسيين اذا ضمنوا لهم الا يصيبوا الخلفى بضرر ما •

فشل الوساطة ، وهزيمة زواغة :

وفشلت وساطة الزعيم اليوراسنى عندما قام بعض الزواغيين فندد بحسن نواياه ، وهو يقول : « أن اليوراسنى يريد الوقيعة بزعيمهم الخلفى الذى تسميه الرواية بـ « الخليفة » ، مما اثار أبا سلامة ، فاعرض عن الاستمرار فى وساطته ، رغم نداء بعض العقلاء من الزواغيين ، فانصرف عن محفلهم (٣٢١) •

---

(٣٢٠) ابو زكريا ، ص ٣٢ - أ ، وقارن الدرجينى ، ص ٣٧ - ب (المطبوع ، ص ٨٤ - ٨٥) •

(٣٢١) ابو زكريا ، ص ٣٢ - ب الدرجينى ، ص ٣٧ - ب •

وبذلك تحسم القتال بين الفريقين ، وانتهى بانهرام زواغة بعد قتال شديد فقدوا فيه كثيراً من رجالهم ، الذين لم يتمكنوا من الفرار ، بسببه وقوعهم فى الحبال التى كانت ممدودة فى المنطقة بين الأشجار الصغـــار المغروسة لمنع الوحش من الافساد فيها • ولم يسرف أبو منصور الياس فى قتل زواغة اذ رجع عنهم ، فتمكن الباقون منهم من الدخول الى جزيرة جربة (٣٢٢)، كما نصحهم أبو سلامة اليوراسنى أول الأمر •

دخول الخلفية فى جربة ، وغدر زواغة بأميرهم :

وفى جربة استجار حفيد خلف برجل من زواغة يسميه أبو زكريـــا بمعقل من بنى مزانت ، فادخله فى قصر من قصور جربة يقال له غردانت (٣٢٣) • وهنا لجأ أبو منصور الذى وصل الى ساحل جربة الى وسيلة الاغواء بالمال ، فارسل رجلا من يوراسن (يهراسن) الى الزواغى الذى آوى حفيد خلف بصرة فيها مائة دينار من الدراهم • وما ان شعر الزواغى بالدراهم تنصب من كم اليوراسنى الى كمه ، حتى قال له : « لو أتيت الى أولادنا دفعناهم اليك(٣٢٤) » • وبناء على ذلك فلم يكن من الغريب عندما وصـــل أبو منصور الى ساحل جربه بعد يومين أو ثلاثة أيام ، اذ كان من عادته أن يوقف جيشه عند وقت كل صلاة ليصلى بهم ركعتين ، أن يقوم معقل الزواغى برد جوار حفيد خلف ، اذ توجه اليه ، فقال له : « انزل أيها الأمير فقد طال ما أرملت نساء زواغة علي يديك » • وكان جواب الخلفى : « ليتكم لم تسمونى أميرا يامشومات » ، وذلك باللغة البربرية التى كان لا يحسنها لأنه رجل عربى • وهنا دفعه الزواغيون الى أبى منصور الياس الذى سار به(٣٢٥) •

أبو منصور يسجن حفيد خلف فى الجبل :

وهكذا استقرت الأمور ، فى جزيرة جربة فلم تعرف بها فتنة تسبب

---

(٣٢٢) أبو زكريا ، ص ٣٢ — ب ، الدرجينى ، ص ٣٧ — ب ، ٣٨ — أ (المطبوع ، ص ٨٥ — ٨٦) •

(٣٢٣) أبو زكريا ، ص ٣٢ — ب ، وقارن الدرجينى ، ص ٣٧ — ب ، الذى يسمى قبيلة الرجل تامستاوت ، ويسمى القصر غردان (المطبوع ، ص ٨٦) •

(٣٢٤) أبو زكريا ، ص ٣٢ — ب ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٨ — أ (المطبوع ، ص ٨٦) •

(٣٢٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٢ — ب ، ٣٣ — أ ، الدرجينى ، المخطـــوط ص ص — أ (المطبوع ، ص ٨٦) •

خيها الخلفية أو قتال • أما رئيس الحركة ، حفيد خلف ، فقد صحبه أبومنصور الياس الى مقره فى جبل نفوسة حيث سجنه • وكان الرجل مكرما فى سجنه معززا لشرفه وعلمه وفقهه ، فقد كان مرجع القوم عندما تنزل بهـم نازلة أو تعرض لهم قضية وعرة أو معضلة ، مما جعله يتساءل متعجبا : يسجنونى ويسئلونى (٣٢٦) ؟ •

وينهى أبو زكريا قصة الخلفى قائلا : « وذكر بعض أصحابنا أنه رجع الى مذهب أهل الحق وحسنت أحواله ، والله أعلم »(٣٢٧) ، وهو الأمر الذى لا يعدو أن يكون أمنية من أمنيات خصومه العزيزة •

أما أهم الأحداث التى عرفها جبل نفوسة على أيام الامام أبى حاتم يوسف فهى الكسرة الخطيرة التى لحقت بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبية بقيـادة الأمير ابراهيم بن أحمد ، وذلك فى وقعة مانو الشهيرة ، بعد وفاة أبى منصور الياس وولاية افلح بن العباس على نفوسة (٣٢٨) •

وقعة مانو سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م واضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لامامه تاهرت (٣٢٩) :

وأول ما يسترعى الانتباه ، أن كتاب الاباضية متفقون على أن الهزيمة الكبيرة لنفوسة ، فى حيزطرابلس ، كانت السبب المباشر لاضمحلال امامة تاهرت الرستمية وانقراضها (٣٣٠) • فقبائل نفوسة كانت تؤيد « السلطنة » الرستمية ومذهبها الاباضى بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب • ولهذا السبب فـى الاباضية هناك •• « قام هذا الدين بسيوف نفوسة ومال مزاتة » ، كما

---

(٣٢٦) أبو زكريا ، ص ٣٣ ـ أ ، وقارن الدرجينى (ص ٣٨ ـ ب والمطبـوع ، ص ٨٦ ـ ٨٧) الذى يضيف أنهم سألوه فى قضية قطع رجل رحل فاختلفوا ، فقال : تقطـع الرجل دون العقب • وعندئذ قال مقالة جابر بن زيد لما استفتى فى السجن • وخبره مشهور • وهذا يعنى أن مقاله « يسجنونى ويسئلونى » هى أصلا لجابر بن زيد الذى رأينا كيف أن نقاثا احتال الى أن كتب ديوانه فى بغداد ، ولو ان الرواية قالت ان نقـاثا عاد ودفنه حتى لا يستفيد منه خصومه ـ أنظر فيما سبق ، ص ٣٥٠ •

(٣٢٧) أبو زكريا ، ص ٣٣ ـ أ ، الدرجينى ، ص ٣٨ ـ ب (المطبوع ، ص ٨٧) •

(٣٢٨) أبو زكريا ، ص ٣٣ ـ أ ، الدرجينى ، ص ٣٨ ـ ب (المطبوع ، ص ٨٧) •

(٣٢٩) أنظر فيما سبق ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ •

(٣٣٠) أبو زكريا ، ص ٣٣ ـ أ : حيث يجعل عنوان الحركة : « وقعة مانو وانقراض الامامة ، وهو العنوان الذى ينقله الدرجينى ، ص ٣٨ ـ ب (المطبوع ، ص ٨٧) •

قالوا أن احبار نعرسة انتشرت لدى المسودة (العباسيين) فى المشرق على أنهم المناصرون والقائمون بدولة الفرس الرستمية فى بلاد طرابلس وتاهرت وغيرهما ، وذلك بفضل المكاتبات التى كان يبعث بها الى بغداد أهل كل من مدينتى القيروان وطرابلس (٣٣١) .

ومما يسترعى الانتباه أيضا ، ما أخذ به كتاب الاباضية من أن ذلك حدث على عهد الخليفة المتوكل العباسى الذى قتل فى سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١م ، مع أنهم يعرفون أن وقعة مانو كانت على أواخر أيام الرستميين سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦ م . واذا لا حظنا أنهم عرفوا قبل ذلك ان أبا اليقظان بن افلح كان قد قبض عليه فى مكة وسير به الى بغداد ، حيث حبس على عهد المتوكل قبيل مقتله سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١ م ، فانه يكون من المقبول ان القصد من ذكر عهد المتوكل هنا هو تحديد بداية اهتمام بغداد بأمور الرستميين فى تاهرت وطرابلس ، وليس تحديد وقت الموقعة ، وان ظهر المعبير بغير هذا المعنى ، كما فى أبى زكريا الذى يظهر الامير الاغلبى وكأنه يرحف بقواته من شرق طرابلس (فى المغرب) ، قاصداً تاهرت بناء على أوامر بغداد (٣٣٢) .

فى أسباب الموقعة :

ومع أنه لا بأس فى أن تكون خلافة بغداد لهـــا دورها فى تحريض الأمير الاغلبى ابراهيم بن أحمد ضد اباضية طرابلس ، أو أن يكون الأغلبى أراد أن يكتسب رضاء الخلافة عنه بعد سخطها عليه اثر أعمال العنف والقسوة التى قام بها ضد رعاياه ، فى اقليمى تونس وطرابلس ، فلا بأس أيضا فى أن تكون أعمال القهر التى قام بها ضد الاباضية من قبائل هوارة وغيرهم فى أقاليم الزاب وطرابلس ، هى السبب فى قيام نفوسة على الأغالبة فى اقليم طرابلس ، كما سبقت الاشارة (٣٣٣) . وهكذا سار ابراهيم بن أحمد من رقادة فى اثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث أعترضته قبائل نفوسة فيما بين قابس وطرابلس (٣٣٤) .

---

(٣٣١) ابو زكريا ، ص ٣٣ — ا ، الدرجينى ، ص ٣٨ — ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٣٣٢) السير وأخبار الائمة ، المخطوط ، ص ٣٣ — ا ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٣٨ — ب (المطبوع ، ص ٨٧) . وعن سجن أبى اليقظان فى بغداد انظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .

(٣٣٣) انظر فيما سبق — عن الأغالبة — ص ١٤١ .

(٣٣٤) انظر فيما سبق ، ص ١٤٢ .

واذا كانت الرواية الاباضية تقول ان الأمير الأغلبي طلب من النفوسيين ان يتركوا له ممرا على شاطىء البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامتـــه ليجوز منه الى طرابلس (٢٣٥) ، فان من الممكن أن يكون الأمر متعلقا بواحد من احتمالين :

١ - اما أن تكون الرواية الاباضية تخلط هنا بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب عندما حاصرته الاباضية فى طرابلس أيام الامام عبد الوهاب ، وانتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطىء البحر للاغالبة والدواخل لعبد الوهاب .

٢ - واما أن يكون هدف ابراهيم بن أحمد هو الاكتفاء بتهدئة الأحوال فى طرابلس التابعة له ، دون رغبة فى التدخل فى شئون الأباضية فـى الدواخل .

مكان الموقعة :

والمهم فى الرواية أن الاباضية عزموا على الا يسمحوا لابراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض اصحابـــه لنفوسة اذا تركوهم .ورأى العقلاء من الشيوخ مثل سعد بن أبى يونس ، الذى رأيناه عالما كبيرا وواليا لقنطرارة التى كان من مشاهير أبنائها ، أن يتركوا الاغالبة يجوزون ، ولكن الكثرة الغالبة من الشباب المتحمس رفض ذلك ، بل وعير بعضهم سعدا بالجبن والخوف من القتل . وكان رد سعد بن أبى يونس مقالته المشهورة : « خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها » ، يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرارة (٢٣٦) ، بلده . وهكذا اعترضت نفوسة قوات الأغالبة فى موضع لا يذكر مؤرخو المغرب اسمه (٢٣٧) بينما يعرفه كتاب الاباضية باسم « مانو » ، وفيه يقول أبو زكريا : انه « قصر من قصور الأولين » على ساحل البحر .

---

(٢٣٥) انظر ابو زكريا ، ص ٣٣ - أ : والرواية هنا تقول انه كان يريد الجواز من طرابلس الى تاهرت ، وقارن الدرجينى ، ص ٣٦ - أ (المطبوع ، ص ٨٧ - ٨٨) .

(٢٣٦) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٣ - ب ، الدرجينى ، المخطـوط ، ص ٣٩ - أ (المطبوع ، ص ٨٨) .

(٢٣٧) انظر فيما سبق ، عن الأغالبة ، ص ١٤٦ وما بعدها والهوامش .

المعركة وتفشي القتل في نفوسة :

أما عن القتال الشديد بين الفريقين فيصفه بأنه « لم يسبق مثله في أرض المغرب » . وبصرف النظر عن البطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين ، فقد استشرى القتل في الفريقين ، ولحق بنفوسة الى جانب ذلك كثير من الجراح حتى أنهم هموا بالانهزام (٢٣٨) .

وهنا طرأت على بال أفلح بن العباس ، والى الجبل وفارس نفوسة ، فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الراية ، شعار الجيش ، في الأرض ، وهو الأمر الذي لم يفعله صاحب البند أي حامل الراية الا على مضض . ولكنه اذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالالتفاف حوله للدفاع عنه ، فقد جعلهم احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلبي الذي أوقع بهم وقتل منهم الكثيرين ، بينما فر افلح ابن العباس عندما رأى سوء موقفه وتفشي القتل في أصحابه(٢٣٩) . ولا شك في أن فشل خطة الصمود حول البند المركز في الارض ، وما تبعه من فرار افلح بن العباس كان السبب في أن القيت تبعة مقتلة نفوسة وحلفائهم في مانو على عاتق هذا الأخير . ففي ذلك يقول أبو زكريا : و « أفلح كان قد كره الخروج للقاء الفاسق وكذلك فعل بهم ما فعل » ، فكأنه كان من المعارضين لتحدي ابراهيم بن أحمد الاغلبي ، مثله في ذلك مثل سعد بن أبي يونس ، وانه انتقم منهم بتدبير مسألة البند الذي كاد الرجال جميعا يستأصلون حوله ، لولا أن قيض الله له رجلا من أهل البصائر ضربه بالسيف فاسقطه . فعند ما وقع البند « انهزم من بقي من المسلمين ، وأفلت من افلت من أهل دعوتنا من أهل الجبل » ، كما يقول أبو زكريا (٢٤٠) .

قائمة الخسائر الاباضية :

وتدل قائمة الخسائر على أن هزيمة « مانو » كانت كارثة حقيقية بالنسبة لنفوسة وحلفائهم من قبائل اقليم طرابلس . فقد بلغت عدة القتلى

---

(٢٣٨) أبو زكريا ، ص ٣٣ — ب ، الدرجيني ، ص ٩ ٣— ا (المطبوع ، ص ٨٨) .

(٢٣٩) انظر أبو زكريا ، ص ٣٣ — ب : حيث يقول ان الهزيمة وقعت حول البند بعد انهزام افلح ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٩ — ب (المطبوع ، ص ٨٨ — ٨٩) .

(٢٤٠) السير ، وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٣ — ب وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٦ — ب (المطبوع ، ص ٨٩) .

١٢ (اثني عشر) ألف رجل ، منهم : ٤ (أربعة) آلاف من نفوسة ، و ٨(ثمانية) آلاف ممن كان معهم من البربر وغيرهم ، الى جانب ما سبي من نسائهم اللاتي كن خرجن معهم • وربما كان الاخطر من كل ذلك فقدان ٤٠٠ (أربعمائة) عالم فقيه ، أشهرهم عمروس بن فتح (٢٤١) الذى كان له قضاء جبل نفوسة منذ ولاية ابى منصور الياس (٢٤٢) •

واغلب الظن أن الرواية الاباضية لا تبالغ كثيرا عندما تقول ان الأمير الاغلبى ابراهيم بن أحمد انتقم من مشايخ الأسرى انتقاماً مروعا يعبر عن الحقد الذى لا حدود له والتشفي • فالى مثل هذا تشير روايات مؤرخي المغرب التى عرضناها عن تلك الوقعة فى تاريخ الأغالبة ، اذ تنص على القسوة اللاانسانية التى مارسها الأغلبى ، عندما كان يأمر بشق صدر الرجل ثم يطعنه بيده فى موضع القلب مباشرة • أو ما قيل من أنه نظم قلوب العشرات منهم فى الخيوط كانها قلائد التمر أو عقود الظفر • ولا شك أن ما قيل من أن مشايخ الاباضية هؤلاء كانوا يتبرأون من الامام على بن أبى طالب لا يصح أن يكون ذريعة مقبولة تبيح كل ذلك (٢٤٣) •

مقتل القاضي عمروس بن فتح :

فابو زكريا يذكر ان القاضي عمروس بن فتح كان مشاركا بشخصه فى القتال ، وانه كان فى مؤخرة العسكر ، على فرس سابق ، يحمى الناس ويذب عنهم ، وعسكر الأغالبة لا يدرون ماذا يصنعون معه • فلما أعياهم نصبوا له حبالا تعثر بها فرسه « السابق» فأخذوه أسيراً الى « الفاسق » •• وطلب ابراهيم بن أحمد من عمروس أن يطلب العفو ، ولكن القاضي الشديد فى أحكامه والذى كان لا يخاف فى الله لومة لائم أبى من استجداء العفو ، « وطلب فقط الا يكشفوا عن سراويله » • وكانت العقوبة الشنيعة التى أنزلت به هى تقطيعه بالحديد من ابهامه الى عضده حيث استشهد » (٢٤٤) • أما عن اخته العالمة الفقيهة مثله ، والتى أخذت مع نسوة نفوسة ، فانها « طلبت من النساء أن تستحلف كل واحدة منهن أن يتزوجها من يريد بها سوءا »(٢٤٥) •

---

(٢٤١) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٤ — أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٩ — ب (المطبوع ، ص ٨٩) •

(٢٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٢ •

(٢٤٣) انظر فيما سبق ، ص ١٤٣ •

(٢٤٤) ابو زكريا ، ص ٣٤ — أ ، الدرجيني ، ص ٣٩ — ب (المطبوع ، ص ٨٩) •

(٢٤٥) ابو زكريا ، ص ٣٤ — أ •

وبذلك قصت الوقعة المشئومة على مشايخ الاباضية فى جبل نفوسة فلم « يبق من علمائهم الا أبو القاسم البقطورى وعبد الله بن الحير ، اللذان بقيا يفتيان لاهل الجبل نوازلهم من تلك الوقعة ولولاهما لعطلت (الفتوى) الى يوم القيامة (٣٤٦) »٠

الانتقام من قنطرارة ثم من اباضية نفزاوة :

ولم يكتف ابراهيم بن أحمد بما الحقه بالنفوسيين فى مانو من القتل والتنكيل ، بل انه اتجه نحو قنطرارة ، حيث عرف من أعوانه انها المعقل الثانى فى المنطقة من معاقل الاباضية ، وفاجأ اهلها فى الصباح المبكر ٠ ويقول أبو زكريا انه ، الى جانب قتله لاهل قنطرارة ، « اختار من فقهائهم وعلمائهم ثمانين عالما فشدهم وثاقا » (٣٤٧) ٠

ومن قنطرارة تابع الأغلبى مسيرته الدامية ضد الاباضية الى نفزاوة للقضاء على من بقى هناك من أهل الدعوة ، وكان أشهر مشايخهم فى ذلك الوقت « رجلا عالما فقيها ٠٠ يقال له : أبو بكر يوسف النفوسى » ٠ وعندما بعث ابراهيم بن أحمد رجاله للقبض عليه أظهر الرجل كرامة منعته من خصومه ، اذا استمهلهم الى أن صلى ركعتين اتبعهما بالدعاء ، « فبعث الله اليهم ريحا عاصفا مظلما فحال بينهم وبين الشيخ ، فأخذ ابنه يوسف وكان الشيخ اذ ذاك قد كف بصره — ومضى الى تناوتت » ، من قبائل نفزاوة (٣٤٨) ٠

---

(٣٤٦) ابو زكريا ، ص ٣٤ — أ ٠ وبصلى مقتلة العلماء الفقهاء ، صاغ الاباضية حول موقعة مانو وشهدائها الأساطير ، كما فعلوا بمكان الموقعة التى قتل فيها أبو حاتم الامام خليفة ابى الخطاب قبيل تأسيس الامامة الرستمية (انظر فيما سبق ص ٣٨٧) ٠ ففى مناقب شهداء الاباضية فى مانو ومثالب خصومهم ، يقول أبو زكريا : انه عندما جن الليل بعد افتراق المتحاربين جاء رجل من العسكر الأغلبى ليحمل اخاه القتيل ، فاذا بشخص يطوف بين القتلى وينادى الاباضية منهم : كبروا يا اهل الجنة فيكبرون ، وينادى على المسودة منهم : انبحوا يا كلاب النار فينبحون ، وكان أخو الرجل ينبح معهم وهو قتيل على الدابة ٠ انظر أبو زكريا ، ص ٣٤ — أ ، ٣٤ — ب ، الدرجينى ، ص ٤٠ — ب (المطبوع ، ص ٩٠) ٠

(٣٤٧) ابو زكريا ، ص ٣٤ — ب ، الدرجينى ، ص ٤٠ — ب (المطبوع ، ص ٩٠) ٠ هذا ، ولا باس من أن تكون وقعة قنطرارة قد حدثت فى السنة التالية ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م ، كما يمكن ان يفهم من رواية ابن عذارى — انظر فيما سبق ، عن الاغالبة ، ص ١٤٣ وهـ ٤٦١ ٠

(٣٤٨) انظر أبو زكريا ص ٣٤ ، ب (حيث اسم القرية ماوته) ، وقارن الدرجينى ، ص ٤٠ — ب (المطبوع ، ص ٩١) : حيث يقول انه « مضى الى تناوتت ، وهم اهل القرية المعروفة بشيطان من قرى فزارة ، فنجاه الله ٠

ومن الزاب عاد ابراهيم بن أحمد ، وبصحبته أسراه الثمانين من فقهاء قنطرارة ، الى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم (٣٤٩) .

وهكذا حطم ابراهيم بن اغلب مقاومة الاباضية الرستميين فى كل من جبل نفوسة ونفزاوة ، قبل أن يعود تعبا مرهقا الى القيروان . والحقيقة لا تجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الاباضية من أن وقعة مانو وما اتصل بها كان سببا فى القاء الوهن والضعف فى نفوسة مما أدى الى انقراض الدولة الرستمية وانقطاع الدعوة الاباضية ، « وذلك لأن نفوسة كانوا عمدتها : قامت بقيامهم وانقطعت لانقطاعهم (٣٥٠) .

عزل افلح بن العباس من ولاية الجبل : والسنوات الأخيرة للامامة الرستمية بعد وقعة مانو :

بعد الهزيمة المنكرة عادت بقية نفوسة من مانو الى جبلهم ، وتحصنوا فيه ، ثم انهم تشاوروا فى عزل واليهم أفلح بن العباس الذى اعتبروه مسئولا عن الكارثة ، وتولية ابن عم له بدلا منه ، واخطار الامام بذلك ليصدر سجل الولاية . وتم اتفاق رءوس الجماعة على هذا الأمر ، لم يخالف فى اقراره الا الشيخ أبو معروف الذى « أبا ذلك خشية الاختلاف » . وهكذا عزل أفلح الذى حنق على هذا الفعل واستنكره الى حد أنه رام الخروج على جماعة أصحابه ، والقيام بمخالفتهم (٣٥١) . وعندما بلغ الشيخ أبا معروف ما يضمره أفلح بن العباس ساراليه خفية ، « وقبحعليه الخلاف وسوء عواقبهووعظه ، فركن اليه ، ولم يتهم قوله لما تقدم منه أيضا من كراهية خلع افلح » ، فأراد الله به خيرا ، كما يقول الدرجينى (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) ابو زكريا ، ص ٣٤ - ب : حيث يفهم من النص ان الأمير الأغلبى قتل هؤلاء الرجال كعقوبة جماعية لهم لأن احدهم ويدعى بابن ثوب كان مقطوع العرقوب مما سمح له بسل رجله من القيد والفرار ، ولو أن الرواية المنقبية تنص على أن الرجل استأذن اخوانه فى الهروب وانهم اذنوا له . وقارن الدرجينى ، ص ٤٠ - ب ، الذى يسمى الرجل المقطوع العرقوب بابن كتيت (المطبوع ، ص ٩١ : ابن كتيت) .

(٣٥٠) الدرجينى ، ص ٤٠ - ب (وقارن المطبوع ، ص ٩١ : حيث النص على انقراض الدعوة بدلا من « انقراض الدولة وانقطاع الدعوة ») .

(٣٥١) الدرجينى ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) : وتقول الرواية هنا انه عرض الخلاف على احد اصدقائه ولكن هذا الأخير لم يستجب له ، وامتنع عن مساعدته .

(٣٥٢) الطبقات ، المخطوط ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) ، أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٤ - أ .

ويظهر عزل أفلح من ولاية جبل نفوسة وكأنه بدء النهاية بالنسبة للدولة الرستمية اذ يقول أبو زكريا : ان الوالي الجديد ، ابن عمه ، لم يمكث في الحكم الا حوالي ثلاثة أشهر ، ولم يتمكن خلالها من احسان السيرة ، فتركه الناس ورجعوا الى أفلح • وبذلك يكون بدء قصة قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط وكيف تهيأ لها القضاء على دولة تاهرت الرستمية منذ حوالي سنة ٢٨٥ هـ/٨٩٨ م•

وهكذا تنتهي الدولة الرستمية عند ابن الصغير في دوامة الاضطرابات التي عرفتها تاهرت والخلافات التي عرفها افراد الاسرة المالكة على عهد الامام ابي حاتم يوسف بن افلح ، دون ذكر لموقعة مانو في سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦ م • أما أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية فقد اعتبروا وقعة مانو ، كما رأينا ، وكأنها نقطة الختام بالنسبة لتاريخ الرستميين ، وبذلك ضاعت في روايتهم معالم تاريخ الفترة الأخيرة من عهد امامة تاهرت الرستمية، التي تقدر بأكثر من اثنتي عشرة سنة ، الى فتح تاهرت واستباحتها على يدي أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦ هـ/ ٨ - ٩٠٩ م ، وقتل آخر أمرائها وهو يقظان بن محمد أبي يقظان بن أفلح •

ابناء الامام ابي حاتم يحرضون ابا عبد الله الشيعي :

يقظان بن محمد ابي يقظان آخر الائمة الرستميين في تاهرت (٢٩٤هـ - ٩٠٧م / ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) :

يتضح من القطع المتناثرة في اخبار السنوات الأخيرة لامامة تاهرت ، التي خصصها أبو زكريا لتاريخ بدء الدعوة الشيعية في كتامة وقيام الدولة الفاطمية في المغرب والتي رأى الدرجيني أن يختزلها ان الامام أباحاتم يوسف راح ضحية مؤامرة قام بها أفراد أسرته وشارك فيها بعض الفقهاء ، مثل : أبي الخطاب وسيم (ابن سنتين الزواغي) أحد حفدة أبي الخطاب (الكبير) المعافري ، وذلك في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م (٢٥٣). وانتهت بولاية ابن اخيه يقظان ابن اليقظان • فعندما سار أبو عبد الله الشيعي - الذي يعرف عند كتاب الاباضية بالايكجاني ، نسبة الى قلعة آيكجان التي اعتصم بها في نظر مدينة

---

(٢٥٣) انظر ابو زكريا ، ص ٤٤ - ب : حيث يقول ان نفوسة الجبل عاتبته على انه « الزم الامر ليقظان ، وانه اعتذر من ذلك بانه فعله احتسابا لله • وانظر البارونى ، الازهار الرياضية ، قسم ٢ ص ٢٩١ •

ميلة من بلاد كتامة (٣٥٤) من رقادة في طريقه الى سجلماسة لطلب الامـــام المهدى (٣٥٥) ، حرحت اليه دوسر بنت يوسف مع واحد من اخوتها تشكو اليه مقتل ابيها ، وتطلب منه الانتقام من عمومتها بنى أبى يقظان الذى غدروا به، مما يفهم منه ان السيدة دوسر كانت المحرضة للشيعى على فتح تاهرت (٣٥٦) • والواضح من الرواية انه ما ان اقبل الشيعى على تاهرت حتى خرج اليـه وجوه أهلها يعلنون الطاعة ويطلبون الأمان • أما زعماء الجماعات المعارضة (المخالفين) ، من ـ المالكية والواصلية والشيعة والصفرية ، فقد « نافقوه ، كما يقول أبو زكريا ، وشكوا اليه امارة الفرس ، وواعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين ، وأمروا باستئصال شأفتهم وتوهين شوكتهم »(٣٥٧)، مما يفهم منه ان المقصود بجماعة وجوه أهل تاهرت ، الذين طلبوا الأمان ، هم من أفراد الأسرة الرستمية المالكة وأنصارهم • وهذا لا يمنع من أن يكون أبناء عمومتهم من أولاد يوسف ، وعلى رأسهم دوسر ابنته ، قد انتهزوا الفرصة لتحريض الشيعى عليهم ، مما كان يهيء لهم النجاة من انتقامه ، وفي نفس الوقت تحقيق الثار لمقتل والدهم •

مجتمع غير متناسق في تاهرت :

وكل هذا يعنى أن عاصمة الرستميين تاهرت كانت تعانى من الانشقاقات المتوالية التى عرفتها جماعة الاباضية منذ وفاة عبد الرحمن الأول بن رستم ، وانها كانت ثمرة ناضجة فى انتظار من يأتى ليقطفها • ولا ادل على الانفصام الذى كان قد وقع بين الأسرة المالكة وبين شعب تاهرت ، مما تقوله النصوص

---

(٣٥٤) انظر الدرجينى ، المخطوط ، ص ٤١ ـ ب (المطبوع ، ص ٩٢) : حيث اســم القلعة ايكجان بينما لقب أبى عبد الله الشيعى الكجانى ، وقارن ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٥ ـ ب ، الذى يسمى الشيعى بأبى محمد وسيم ويلقبه بالحجانى ، مما يظن انه من اخطاء النساخ أو تصحيفاتهم •

(٣٥٥) أنظر فيما بعد ، ص ٥٤٩ •

(٣٥٦) انظر ابو زكريا ، ص ٣٦ ـ ب ، الذى ينص على ان دوسر اخبرته بقصة ابيها ، وما انتهك من حرمتها ، وان حرصها على الانتقام من قتلة أبيها بلغ الى حد ان « اوعدته من نفسها اذا هو أخذ بثارها ان تزوجه من نفسها » ، ولو انهـــا أخلفت بالوعد بعـد ذلك : « فتقيت وهربت من الحجانى (الايكجانى) مخافة أن يتزوجها » ، وانه طلبها فلم يقــدر عليها • وقارن الدرجينى ص ٤٢ ـ أ : حيث اسم « دوسر » منسوخ فى شكل « دوس » ، وانظر المطبوع ، ص ٩٤ وهـ ١ : حيث الاشارة الى أن صاحب الازهار الرياضية يثبت الاسم فى شكل « دوسرة » •

(٣٥٧) أبو زكريا ، ص ٣٦ ـ ب •

الاباضية س آن الشيخ أبى الخطاب وسيم الذى كانت اليه الزعامة فــى المدينة والذى قام بدور رئيسى في تولية يقظان ، كان يغرم اليتامى والأرامل للظلمة ، ويستفتى نكاريا ، ويقدم في الصلاة خلفيا وبى الأذان نفاثيا(٢٥٨)، واذا كان ذلك يعنى نوعاً من المداهنة والمداراة من أجل التعايش الســلمى بين الجماعات المتنافرة مذهبيا ، كما يفهم من رد أبى الخطاب على منتقديه(٢٥٩)، فلا شك أن هذه الفيفساء الاباضية كانت من الرقة بحيث لا تتحمــل أية مقاومة ، وهذا ما يفسر استسلام المدينة بالأمان ، ودون مقاومة .

الشيعة يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان :

والمهم أن أعيان تاهرت خرجوا وعلى رأسهم يقظان لاستقبال ابى عبدالله الايكجانى ـ بناء على طلبه أو مبادرة من انفسهم ـ ، وذلك على بعد أميال من المدينة . وينص أبو زكريا على أنه بعد حوار قصير سأل فيه الشيعى الأمير الرستمي عن اسمه ورد فيه بجفاء عليه ، قائلا له : بل اسمك حيران بدلا من يقظان ، قبل ان يتبع ذلك بتعنيفه على سوء السيرة وقتل أخيه ابى حاتم يوسف ، اذ قال له : « وكيف قتلتم أميركم ، وسلبتم لأنفسكم ملككم ، فاطفيتم نور الاسلام بغير سبب ، وألقيتم بأيديكم الينا بغير قتال »؟ وبعد ذلك أمر بقتل يقظان وأبنائه الدين نفذ فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم (٢٦٠) .

تخريب تاهرت واخذ ذخائرها :

ومع ان الروا ية تنص على أن أبا عبد الله الشيعى دخل تاهرت بالأمان فانها تشير الى أنه عدر : فانتهب مدينة الأئمة وانتهك حرمتها ، وأحلا كثيرا من اهلها ، وجعل أعزة أهلها أذلة (٢٦١) . ولم يكتف الشيعى بقتل يقظان وابنائه بل أنه آتبع ذلك بقتل « أهل بيت الامامة من الرستميين ، وأهل الملك ، وأهلك الحرث والنسل(٢٦٢)» .

وكان من الذخائر التى وقع عليها الشيعى فى تاهرت صومعة مملوءة

---

(٢٥٨) ابو زكريا ، ص ٤٤ ـ ب .
(٢٥٩) ابو زكريا ، ص ٤٤ ـ ب .
(٢٦٠) ابو زكريا ، ص ٣٦ ـ ب ، الدرجينى ، ص ٤٢ ـ أ (المطبوع ، ص ٩٤) .
(٢٦١) ابو زكريا ، ص ٣٧ ـ أ ، الدرجينى ، المخطــوط ، ص ٤٢ ب (المطبوع ، ص ٩٤) .
(٢٦٢) الدرجينى ، ص ٤٢ ـ ب (المطبوع ، ص ٩٤) .

بالكتب الثمينه ، فأمر باخراج تلك الكتب من مكمنها ، كما تقول الرواية ، واخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب (أى للادارة المدنية) ، والقى بقيتها فى النار (أى كتب المذهب) (٣٦٣) ٠

خروج بقايا الرستمين الى وارجلان :

واذا كانت رواية أبى زكريا تعزو انتقال الشيعى من تاهرت الى هرب السيدة دوسر بنت يوسف التى لم تف بوعدها بالزواج منه ، بعد أن حقق لها أمنيتها وثأر من بنى عمومتها قاتلى أبيها ، فلا بأس من أن يكون الشيعى قد شملها بعفوه بعد أن وقفت الى جانبه ٠ ولا بأس من أن يكون العفو قد شمل أيضا يعقوب بن أفلح ، عم يوسف ويقظان الذى كان له حظ المنافسة على الامامة ، من قبل(٣٦٤) ٠ وذلك أنه بينما تقول بعض روايات أبى زكريا انه خرج من تاهرت متوجها الى وارجلان لما سمع باقبال الإيكجانى (٣٦٥) ، يذكر الدرجينى « ان يعقوب بن افلح وابنة أخيه دوسر خرجا فى خفاء الى جهة وارجلان حتى نزلاها (٣٦٦) ٠ فاذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف الى جانب ابنة أخيه دوسر فى طلب الثار لأبيها ، وحينئذ يصح ما نريد استنباطه من أن يكون عفو الشيعى قد شمل كلا من دوسر ويعقوب ، وتكون مسيرتهما الى وارجلان قد تمت بموافقته ٠

يعقوب بن افلح فى وارجلان :

ولا يضعف من هذا الافتراض ، الذى نراه منسجما مع واقع الحال ، ما تشير اليه رواية تالية ، لابى زكريا ، يقول فيها : انه عندما سار الايكجانى متوجها الى تاهرت « خرج يعقوب بن افلح فى خيل من أصحابه مع عيالاتهم وأهاليهم » ٠ اذ الواضح ان الرواية المنقبية تهدف الى احاطة يعقوب بهالة من الهيبة والشجاعة غير المعادة : فعندما تبعت عساكر العدو القافلة التى كانت تحوى الذرية والأهل الى جانب الرجال وقع عبء حمايتها على يعقوب

---

(٣٦٣) انظر ابو زكريا ، ص ٧ ٣ ـ أ ، وقارن الدرجينى ، ص ٤٢ ـ ب حيث يقول : « ان صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تاهرت أى سجلات المدينة الرسمية ، كما ذكر المزاتة (المشايخ من طلبة العلم) » (والمطبوع ، ص ٩٤ ـ ٩٥) ٠

(٣٦٤) انظر فيما سبق ، ص ٢٧٦ ٠

(٣٦٥) ابو زكريا ، ص ٣٧ ـ أ ٠

(٣٦٦) الدرجينى ، ص ٤٣ ـ ب (المطبوع ، ص ٩٤ ـ واسم الأميرة دوس ، كما سبقت الاشارة) ٠

وحده ، اذ « كان له حصان عظيم فكان يقف للعدو حتى يسير أصحابه » • « وكان فرسه (هذا) يضرب به الامثال في المغرب ، فاذا نظروا اليه وعرفوه وقفوا له من هيبته ••• » وهكذا كان يعقوب يسير خلف قافلة أهله وأصحابه الى أن يلحقهم العدو فيقف وحده — والرحل سائر — ويقف العدو دهشة وعجبا • وهكذا دواليك على طول الطريق ، « حتى آيسوا منه ورجعوا عنه هو واصحابه » • ومضى يعقوب بعد أن تفرق عنه معظم اصحابه الى وارجلان (٣٦٧) •

وهكذا يظهر من رواية تلك المطاردة الطريفة أنها منقبية أكثر منها تاريخية ، مما يرجح دعوانا في أنه ربما كان من الأرجح أن يكون يعقوب ابن أفلح قد خرج من تاهرت الى وارجلان بصحبة ابنة أخيه دوسر ، وأن ذلك كان بموافقة أبي عبد الله الشيعي بعد أن وقفوا الى جانبه مع من وقف من النكارية والواصلية والمالكية والخلفية وغيرهم • وتكون تاهرت الرستميين قد سقطت بالأمان دون قتال بين أيدي الفاطميين ، وبذلك تبددت قوى الاباضية هناك في واحات الصحراء ، مثل : وارجلان التي صارت منذ ذلك الوقت من أهم مراكز الاباضية في صحراء المغرب الأوسط (بلاد الجزائر الحالية) ، بعد محاولة فاشلة للاستيلاء عليها من جانب عبيد الله المهدى في رحلة عودته من سجلماسة الى رقادة • وستشهد وارجلان منذ ذلك الحين مجتمعا اباضيا مزدهرا يعيد — شيء من الحياء — سيرة تاهرت الرستمية على مستوياتها الاجتماعية والحضارية • وكان من أوائل الأحداث الهامة التي عرفتها وارجلان الاباضية هو الانقسام المذهبي الرابع الذي ينسب الى أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح •

وارجلان وريثة تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط :

يعقوب بن افلح يجدد سيرة الأئمة الأوائل :

عندما وصل يعقوب بن افلح — بعد سقوط تاهرت — الى وارجلان ، كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة الى رجل يعرف باسم صالح بن جنون ابن يمريان الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان • وبسبب مركزه

---

(٣٦٧) ابو زكريا ، المخطوط ، ص ٤١ — ب : حيث تقول النصوص ان يعقوب بن أفلح مضى واصحابه الى وارجلان ، وانه « نظر الى الطالع في طريقه ذلك فقال لاصحابه : لا يجتمع منكم ثلاثة الا كان عليهم الطلب فافترقوا » ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٤٧ — أ (المطبوع ، ص ١٠٤ — ١٠٥) •

الاجتماعي وشرفه وعلمه اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرض عليه أهل وارجلان ـ ويضمنهم أميرهم صالح بن جنون ، على ما نظن ـ أن يكون أميرا عليهم • وكان من الطبيعي ، أيضا ، أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي، وان كان كريما ، لم يكن مناسبا للامام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع : « لا يستتر الجمل بالغنم » ، فذهبت تلك الجملة المعبرة مثلا (٣٦٨) •

واشتهر يعقوب في وارجلان بالعلم والتقوى وبانه كان حافظا للقرآن مجيدا له ، وفي ذلك قيل انه عندما سأله بعض الورجلانيين عما اذا كان يحفظ القرآن كله ! رد عليهم قائلا : « معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى عالم احفظ واعرف معناه ، فكيف بكتاب الله ؟ » ، بمعنى أنه : كان يعرف التوراة والانجيل الى جانب القرآن • أما عن ورعه وعبادته فكان مجتهدا في الليل • وفي ذلك يروى أنه قام ذات ليلة يصلي : « فخر عليه السقف » ولكن الله نجاه اذ لم تسقط خشبة السقف التي تقابل رأسه ، مما سمح بانقاذه من تحت الأنقاض (٣٦٩) •

والى جانب العلم والورع ترك يعقوب بن أفلح كثيرا من الآثار ، وذلك بفضل بنيه خاصة • فقد كان له ابنان وابنتان اخوة أشقاء صحبهما معه من تاهرت ، ولكنه رغم بقائه في وارجلان لمدة طويلة فانه حبس ابنتيه عن التزويج ، مما يفهم منه أنه ربما لم ير في أهل وارجلان من هو كفء لهما • وهذا ما قد يرجحه تزويج يعقوب ـ في آخر الأمر ـ احدى ابنتيه لرجل صالح ، هو : حمو بن اللؤلؤة ، والأخرى لرجل من أهل الدنيا ، اسمه : العز بن محمد • وتضيف الراوية انه كان عند حمو امرأة أخرى ، فلما عرفت بزواجه من ابنة يعقوب « خالطها الهم حتى ماتت (٣٧٠) » • ولا ندري ان كان لهذا الحادث أثره في قبيلة المرأة المتوفاة وهو الامر المحتمل ـ أم لا •

---

(٣٦٨) ابو زكريا ، ص ٤٢ ـ أ ، قارن الدرجيني ، ص ٤٧ ـ أ (المطبوع ، ص ١٠٥ : حيث اسم الشيخ الورجلاني « ابو صالح جنون بن يمريان » الذي هو والد صالح) ، الميلي ، ج ٢ ص ٢٥ •

(٣٦٩) ابو زكريا ، ص ٤٢ ـ أ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٧ ـ ب ، الذي ينص على ان يعقوب كان صاحب كرامات وان تلك الحادثة كانت احداها (المطبوع ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦) •

(٣٧٠) ابو زكريا ، ص ٤٢ ـ أ ، وانظر الدرجيني ، ص ٤٧ ـ أ • ٤٧ ـ ب : حيث النص على انه كان مع يعقوب ابنتاه وابنة ابن أخيه ، واسم الرجل الذي من أهل الدنيا هو « العز بن محمد » ، وقارن المطبوع ، ص ١٠٥ : حيث اسم الرجل من أهل الدنيا « حمو بن اللؤلؤ » ، والرجل من أهل الدين « العز بن محمد » •

الافتراق الرابع في الأباضية بوارجلان : أبو سليمان بن يعقوب مرجع الاباضية في وارجلان :

اما أهم آثار أبناء يعقوب بن أفلح في وارجلان ، فهو الانشقاق (الافتراق) الرابع في الاباضية هناك ، وينسب الى أبي سليمان بن يعقوب • والمعروف أن أبا سليمان كان محبا للدرس ، مثلما كان والده مغرما بالعلم • وكان من أهم الكتب التي درسها في شبابه أحد الدواوين الذي كان يشك المتمسكون من أهل الدعوة في اصالته ، حتى قالوا ان يعقوب والده أخذ على ابنه ابي سليمان ذلك ، وحذر منه أهل وارجلان فقال لهم : « لا تطمئنوا اليه (أبي سليمان) فانه درس من ديوان أحمد بن الحسن » ، وهي العصة التي ينبغي الا تأخذها على عواهنها • وبعد وفاة يعقوب بن افلح الذي دفن في المقبرة الأميرية في وارجلان — وهي المقبرة التي بناها جنون بن يمريان والد الأمير صالح ، والتي كانت خرائبها في أيام ابي زكريا كالربوة ، والتي يقول الدرجيني انها من المشاهد المرورة — اجتمع أهل وارجلان على ابنه أبي سليمان واتخذوه مرجعا لهم في فتاواهم ونوازلهم • وكانوا يجرون عليه وتلامذته الضيافة الى أن حدث الخلاف بينه وبين بعض كبار المشايخ ، مما أدى الى الانشقاق الرابع الجديد (٣٧١) •

ميل أبي سليمان بن يعقوب الى التشدد في فتاواه ، والنزاع مع شيخ وارجلان الكبير ابي صالح جنون :

والظاهر من فتاوى مشايخ الاباضية التي وصلت الينا أنها كانت تميل الى الرخص — على عكس ما كان يظن — وخاصة ما يتعلق منها بأمور الطعام والشراب ، في الأقاليم شبه الصحراوية التي تمثل أوطان الاباضية ، وان أبا سليمان بن يعقوب كان يميل الى التشدد في تلك الأمور • وفي هذا المجال كانت أول مسالة أثارها أبو سليمان هي تنجيس الفرث ، وهي المسالة التي عارضها الشيخ أبو صالح جنون ، والد الامير وصاحب المقبرة التي دفن فيها يعقوب ، حتى أنه سمح لنفسه — وهو صائم — أن يفطر على العصب فيها فرث خوفا من الفتنة في وارجلان • واستمر الجدل والمناظرة بين أبي سليمان والشيخ جنون في تلك المسالة حتى تحولت الى مشاجرات ومنازعة ، ثم

---

(٣٧١) أبو زكريا ، ص ٤٢ — أ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٧ — ب (المطبوع ، ص ١٠٦) •
(٣٧٢) أبو زكريا ، ص ٤٢ — ب • وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١٠٧ •

انتهت الى المباهلة بين الرجلين ، أى . طلب حكم الله عن طريق الاستخارة(٣٧٢)٠

المباهلة بين الزعيمين :

وكما كانت العادة فى المباهلة : اتفق الرجلان على أن يتباهلا يوم الجمعة ، واخذ الشيخ جنون فى العبادة والابتهال الى الله ان ينصر أحب الفريقين اليه ٠ ولما كان يوم الجمعة اقترعوا فى موضع بين الكدية العظيمة المعروفة هناك باسم كريمة ، وبين الموضع المعروف باسم تسرسرين ٠ وانتهت المباهلة فى مصلحة الشيخ جنون ، كما يقول أبو زكريا ، اذ بعد أن تم « الدعاء على المبطل فضح الله اباسليمان » ، مما دعا الشيخ جنون الى اقامة مصلى — شكرا لله — بتسرسرين ، كان موجودا على أيام أبى زكريا(٣٧٣) ٠

مسالة الخلاف بين السليمانية والوهبية فى وارجلان :

ورغم ما تقوله الرواية الاباضية من الانتصار على تحريف السليمانية ، فالظاهر أن تلك المنازعة انتهت بتكريس الانشقاق وخروج فرقة رابعة فى وارجلان خالفت أهل المذهب من الوهبية فى سبع مسائل تشددت فيها الى حد التحريم ، وهى :

أ — ثلاث تتعلق بالطعام ، من :

١ — تحريم الفرث
٢ — تحريم الجنين بعد ما ذبحت أمه (٣٧٤) ٠
٣ — تحريم العروق التى استبطنت الظهر بعد ما ذبحت الشـاء ٠

ب — واثنتان تتعلقان بالطهارة ، من :

٤ — تحريم عرق الجنب ٠
٥ — تحريم عرق الحائض ٠

ج — وواحدة خاصة بالصوم ، وهى :
٦ — تحريم صوم يوم الشك ٠

---

(٣٧٣) أبو زكريا ، ص ٤١ — ب ٠ وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ١٠٧ ٠
(٣٧٤) وهى الأجنة التى تعرف بالسخال ، انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٣ و هـ ١١٨ —

د ـ والاخيرة خاصة بالزكاة : وهى :

٧ ـ تحريم الزكاة للقرابة (٣٧٥) •

وهكذا لم تنته خلافات الاباضية الفقهية بسقوط تاهرت ، بل انهم حملوها معهم فى مهاجرهم الجديدة ، رغم عدم وجود الامامة الرستمية التى ظهرت الانشقاقات السابقة وكأنها نوع من المعارضة لها ، باستثناء الافتراق الرابع الذى ظهر فى وارجلان ، وكأنه محاولة من يعقوب بن افلح وابنه أبى سليمان للم الشمل حولهما • أما الانشقاق الخامس فقد قام فى حيز جبل نفوسة فى بلدة قنطرارة •

الافتراق الخامس فى الاباضية بقنطرارة :

ظهر الانشقاق الخامس فى الاباضية ـ مثله فى ذلك مثل الانشقاق الرابع ـ كرد فعل للرخص والتساهل الذى ظهر فى المجتمع الاباضى ، والذى كان نتيجة طبيعية للمعاناة التى كابدها المجتمع فى المناطق الانعزالية التى عاش فيها بعد سقوط تاهرت ، وخاصة من الناحية الاقتصادية ، بعد عصر الازهار الذى عرفه الاباضية على أيام الائمة الاوائل •

وصاحب الانشقاق الخامس رجل من أهل قنطرارة اسمه عبد الله ، ويكنى بأبد الله ، واشتهر بلقب السكاك • وعرف والد أبد الله بالصلاح

---

(٣٧٥) أبو زكريا ، ص ٤٢ ـ ب حيث يقول ان تفصيل الخلاف فى هذه المسائل وارد فى كتاب أخبار أبى الربيع سليمان بن زرقون النفوسى ـ الذى لا نعرف ، للأسف ، عن مصيره شيئا ، ولو ان أبا زكريا يشير الى أن بعض معاصريه ادرك ديوان أبى الربيع سليمان ، وكتبه بقرية « تاديوت » • وفى سيرة أبى الربيع ـ الذى كان يفتى فى مسائل الرخص كثيرا ، اذ ينص أبو زكريا (ص ٤٣ ـ ب) على انه كان يرقع جبته برقعة منجوسة بعد أن ينزع بعض أطرافها ، كما كان يسمح لنفسه بشرب كل ما كان من الماء فى كوز قدمته له عجوز وهى تقول له اشرب قليلا ، وذلك بناء على تفسيره للآية التى تقول : « قل متاع الدنيا قليل » ، مثله فى ذلك مثل أبى الخطاب وسيم الزواغى ، معاصر أبى الربيع ، الذى كان لا يرى منازعة رجل ادعى عليه دينار وهو لا يعرفه ، كما كان يفتى رجلا من اغنياء بنى يهراسن أن يعطى الزكاة الى اخ فقير له (ص ٤٤ ـ ب) ـ ينص كاتبنا على أنه كان معاصرا وزميلا لأبى يزيد مخلد بن كيداد المعروف عند مؤرخى المغرب بصاحب الحمار الذى قام بالثورة على القائم والمنصور الفاطميين (ص ٤٣ ـ أ) ، والذى تعتبر دعوته انحرافا جديدا عن مذهب أهل الحق من الوهبية (ص ٤٣ ـ ب » وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٤٣ ـ ب والمطبوع ، ص ١٠٩ : حيث قراءة اسم قرية أبن زرقون « تابديوت ») ، وهو ما سنعود اليه عند كلامنا فى الدولة الفاطمية •

والتقوى ، ووجه ابنه السكاك الى طلب العلم الذى نبغ فيه ، فكانت له اجتهاداته الخاصة التى خالف فيها أهل المذهب • والحقيقة أن المسائل السبعة التى خالف فيها مشايخ قنطرارة تختلف كثيرا عن مسائل الانشقاق الرابع التى نادى بها أبو سليمان بن يعقوب ، مما جعل خصومه من الوهبية الذين سموا أنفسهم بأهل العدل يقفون منه موقفا عدائيا شديدا ، حتى قالوا : انه عندما ولد أبو عبد الله (عبد الله السكاك) فى قنطرارة ، بينما كان والده يؤدى فريضة الحج ، رأى هذا الاخير : « انه رأى فيما يرى النائم أنه توالد عنده شيطان » (٣٧٦) • والحقيقة أيضا أن مسائل السكاك الخاصة بالنجاسة والطهارة اذا كانت مقبولة فان المسائل الأخرى الخاصة بأصول التشريع والصلاة تدل على تعصب غير مقبول ، يسمح بالوقوف منها موقف المعارضة الشديدة • ومسائل السكاك السبعة هى :

١ - ابطال السنة والرأى - مما يعنى انه لا يقبل الا القرآن كمصدر وحيد للتشريع •
٢ - صلاة الجماعة بدعة •
٣ - الأذان بدعة •
٤ - الصلاة لا تجوز الا بالمفهوم من القرآن •
٥ - الاجنة نجسة •
٦ - الصلاة لا تجوز بثوب فيه القمل •
٧ - اذا بالت الدواب فى الأندر (القمح أثناء الدرس) لا يطهر الا بالغسل (٣٧٧) •

وهكذا يظهر تشدد السكاك ، فى : أمور التشريع ، والعبادات ، ومسائل الطهارة والنجاسة فى الثياب وفى الطعام ، بشكل يخالف ما اتفق عليه جمهور المشايخ ، سواء فى تاهرت الرستمية ، أو فى مراكز الاباضية المتفرقة فى صحراوات المغرب ، أو فى جبل نفوسة فى العصور التالية ، كما يظهر فى سير المشايخ وطبقاتهم •

وبهذا التعريف المقتضب بالافتراقين الرابع والخامس عقب سقوط تاهرت بين أيدى الفاطميين ، وبعد ذلك بفترة زمنية لا بأس بها ، نكون قد

---

(٣٧٦) ابو زكريا ، ص ٤٥ - ب ، وقارن الدرجينى ، المطبوع ، ص ١١٨ •

(٣٧٧) نفس المصدر • ويلاحظ أن الدرجينى يضع بدل نجس الأجنة نجس البقول التى تنبت فى الجنات فى سماد بنى آدم ، وذلك لنجاسة ما نبت عليه •

انتهينا من موضوع الدولة الرستمية في المغرب الاوسط ، فلا يبقى لنا قبل عرض تاريخ المغرب الأقصى حيث الدولة الادريسية الى حين قيام الدولة الفاطمية الا محاولة رسم خريطة لامامة تاهرت ٠

حدود امارة تاهرت :

رغم ما رأيناه من أن امامة تاهرت كانت تمد نفوذها الى طرابلس وجبل نفوسة ، فانه من الصعب رسم خريطة محددة لامارة الرستميين ، وذلك لأنها كانت مملكة بدوية أو صحراوية تبسط سلطانها على قبائل البادية أو الصحراء ٠ فمع أن هذه القبائل اتخذت بعض المراكز في القرى الجبلية أوالواحات الصحراوية الا أنها ظلت في حالة ميوعة لا يستقر لها قرار ، فكانت تنتقل من مكان الى مكان حسب الظروف الطبيعية أو السياسية ٠ والمثل لذلك هو ما اشرنا اليه من انتقال (النكار) الى ظاهر تاهرت ثم الى حيز طرابلس ، وانتقال عبد الوهاب بن رستم الى جبل نفوسة وخروج أبي حاتم يوسف من تاهرت نفسها الى حصن لواته وأخيرا التجاء يعقوب بن افلح الى وارجلان(٢٧٨) ٠ وهذا يعني أن مسارح الرعي للقبائل التي ساندت الدعوة الخارجية في المغرب الأوسط ، والتي كانت تنتشر جنوبا في كل بلاد الزاب ، دخلت في نطاق الامامة الرستمية ٠

واذا كانت الاقاليم الساحلية القريبة من تاهرت مثل أسافل وادى شلف قد خضعت للمغرب الاقصى حيث قام الأدارسة في فاس ، فان القبائل الخارجية امتدت في الصحراء غربا حتى فجيج (٢٧٩) وجنوبا بغرب حتى سجلماسة ، حيث أقامت جماعة الصفرية امامة لها هي الاخرى ٠ أما من جهة الشرق فقد رأينا أن خوارج تاهرت أصلا من اقليم طرابلس ، مهد الاباضية في المغرب (٢٨٠) ٠ ولما كانت صحراوات طرابلس الجنوبية امتدادا طبيعيا لصحراوات البرقية والمغرب الاوسط ، حيث تلتقى الطرق الصحراوية في الأقاليم الثلاثة ، فان هذا يعني ان امارة تاهرت امتدت الى منطقة طرابلس وجبل نفوسة ، أو أنها كانت متصلة بها بشكل من الاشكال (٢٨١) :

---

(٢٧٨) انظر فيما سبق ، ص ٢١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٧٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ٠

(٢٧٩) انظر جوتييه ، ماضى شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٣ ٠

(٢٨٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٠ وهـ ٧ ٠

(٢٨١) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٦ ، ٣٥١ وانظر فيما بعد ، ٤٠٦ ٠

واذا كانت المصادر التي بين أيدينا لا تبين حدود الامامة الرستمية والبلدان الداخلة في نطاقها ، فانه يمكن القول ان كل اقليم من الأقاليم والقرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج وخاصة الاباضية ـ كانت داخلة في سلطان تاهرت • وفي هذا المجال تكون كتب الجغرافية والرحلة أهم مصادرنا ، ولو أن معظمها تم تاليفه بعد انتهاء تاهرت على أيدي الفاطميين وانتشار آباضيتها في واحات الصحراء ، مما يمكن أن يكون قد ترتب عليه ازدياد انتشار المذهب في الواحات الجنوبية ،بالشكل الذي يشير اليه الكتاب(٣٨٢) •

واذ ما قبلنا هذا المنهج على علاته يكون امتداد مملكة تاهرت ما بين جبل نفوسة شرقا وتاهرت غربا • فأهل جبل نفوسة كانوا آباضية متعصبين الى مذهبهم ، مفضلين اياه على سائر المذاهب (٣٨٣) ، وما زالوا على ذلك الى اليوم •

وهكذا كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة امامة تاهرت جزءاً من تاريخ تلك الامارة ، وهذا ما ينص عليه اليعقوبي (٣٨٤) • ولقد كان جبل نفوسة مركز اشعاع للمذهب الاباضي في كل الاقاليم المجاورة ، كما يتضح من كتب أهل الجبل التي وصلت الينا ، من : أبي زكريا والدرجيني والوسياني ومن نقل عنهم مثل الشماخي (٣٨٥) ومن أتى بعده من المحدثين كالباروني ،فالمفهوم

---

(٣٨٢) انظر البكري ، ص ٧٩ (عن انتقال اهل تاهرت الى مدينة فكان على مسيرة ٤ مراحل سنة ٣٣٨ هـ وتمدينها على أيديهم) • وأنظر ص ٣٩٨ وما بعدها •

(٣٨٣) الشماخي ، ص ٣١٦ •

(٣٨٤) انظر البلدان ، ص ٣٤٦ (حيث يقول عن نفوسة وهم قوم عجم الألسن اباضية كلهم ، لهم رئيس يقال له الياس لا يخرجون عن امره ، ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا الى سلطان ولا يعطون طاعة الا الى رئيس لهم بتاهرت ، وهو رئيس الاباضية ، يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ـ فارسي)• وقارن ابن حوقل (ط بيروت) ، ص ٩٣ : حيث يقول ان جبل نفوسة كان دار هجرة الخوارج من قديم الأيام • بل وينص على أن عبد الله بن اباض وقبله عبد الله بن وهب الراسبي ماتا به ، وانه لم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الاسلام اى سلطانه ولا سكنه غير الخوارج مذ أول الاسلام ، بل مذ خروجهم على علي بن أبي طالب ووقعة النهروان •

(٣٨٥) ونكتفي هنا بالنظر في الشماخي ، ص ٢١ (عن تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جبل نفوسة واصلاح الأسواق : ••• عاقبوا القصاب على نفخ الشـاة ، ومنعو الجمال ان يحمل على دابته فوق طاقتها ••• ، ص ٢٢٨ (رجع الفضل الى قاضي الجبـ عمروس بن فتح في نقل مدونة أبي غانم الخرساني ، وهي في ١٢ جزءا ، ولولاها لبقي أه المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه ـ وذلك بعد سقوط تاهرت واحراق كتبها) • ولو انه ينقل بعض هذه المعلومات عن مؤرخي تاهرت مثل ابن الصغير (انظر فيما سبق ص ٣٦٦) •

ان المذهب انتشر منه الى الصحراوات الجنوبية فى فزان وودان (٣٨٦) ، وفى غرب نفوسة انتشر الخوارج فى أرض نفزاوة (٣٨٧) • وفى الاقليم الساحلى انتشروا ما بين طرابلس وقابس ، وكانت أشهر مراكزهم الساحلية جزيرة جربة(٣٨٨) • وانت واحات قسطيلية وبلاد الجريد — فى الأقاليم الجنوبية لافريقية من قواعد الخارجية الهامة (٣٨٩) • وفي الغرب من افريقية كان جبل أوراس من أقوى معاقل الخارجية (٣٩٠) •

وبعد ذلك تأتى بلاد الزاب — المؤدية الى ورجلة (وارجلان) — التى كانت تعتبر من أعمال مملكة تاهرت (٣٩١) • أما من جهة المغرب الاقصى فلقد سيطر الخوارج على الصحراء حتى سجلماسة التى عرفت كمركز للصفرية • وعن طريق الواحات وسجلماسة ، وأودغست فى جنوبها ، نقل الخوارج نشاطهم الى بلاد السودان فى تادمكت (تادمكة) وغانة ثم مالى — فيما بعد — حيث نشروا الاسلام وجمعوا كثيرا من الثروات فى العصور التالية للامامة(٣٩٢) •

---

(٣٨٦) الشماخى ، ص ١٩٠ (حيث يخصص فصلا لتراجم اباضية أهل فزان) •

(٣٨٧) عن خوارج نفزاوة انظر ابن حوقل ، طبعة بيروت ، ص ٩٣ •

(٣٨٨) البكرى ، ص ٨٥ ، الشماخى ، ص ١٦١ • وانظر ص ٤١٦ حيث يقول ان أهل جربة نكار ، وعن عقيدتهم ، ص ٥٦٢ • وعن جربة يقول ابن خلدون (ج ٦ ص ١٢٢) انهم من بطون قبائل لماية — حلفاء الرستميين — وبهم سميت الجزيرة البحرية تجاه قابس •

(٣٨٩) ابن حوقل ، ص ٩٣ (يذكر وجود الخوارج فى قفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى) والشماخى ، ص ٣٤٧ (الحامة) ، ص ٣٥٠ (الجريد) ، ص ٤٠٣ (توزر) ، وعن قسطيلية (يكتبها فى شكل قسطالية) ص ٢٨٠ •

(٣٩٠) البكرى ، ص ١٤٤ (تسكنه قبائل مزاتة وضريسة وكلهم اباضية) •

(٣٩١) من مدن الزاب القريبة من أوراس باغاية وكلهم اباضية على أيام البكرى (البكرى ، ص ١٤٤) ، وكذلك أهل طبنة وبادس (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وتهودة — حيث كان يسكن فى جوفيها هوارة ومكناسة وهم من الاباضية (البكرى ، ص ٧٢) — وبسكرة (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وعن ورجلان وخوارجها انظر الشماخى ، ص ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ •

(٣٩٢) انظر الوسيانى ، المخطوط ، ص ٢٦ — أ (غانة وتادمكت) ، ص ٥٢ — أ (طريق القبلة) ، ص ٨٢ — ب (تادمكت) الخ • وقارن الشماخى حيث نجد خلال تراجم الشيوخ امثلة لهذا النشاط ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ (عن نشاط الاباضية بسجلماسة) ص ٤٧٨ (عن رحلاتهم الى أودغست) ، ص ٣١٢ عن تبشير ملك السودان ودخوله الاسلام) ، ص ٤٥٧ (عن نشاطهم فى جمع التبر والدعوة الى الاسلام فى غانة) ، وعن نشاطهم فى جمع الأموال فى تادمكت ، ص ٤١١ •

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٥٨/ ١٩٩٣
الترقيم الدولى ٩ ـ ٢٠ ـ ٧٣٠٧ ـ ٩٧٧

